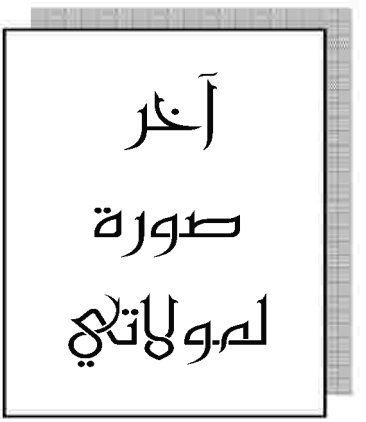
آخر
صورة
لمولاتي

دار الجندي للنشر والتوزيع
القدس
00972542263454
info@aljundi.biz
www.aljundi.biz
*

د. معتز علي القطب
"آخر صورة لمولاتي"
(شعر)
*

الطبعة الأولى (2012)
جميع الحقوق محفوظة
*

التصميم والإخراج الفني
الريشة
*

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، بأي شكل من الأشكال، بدون إذن خطي من الناشر.
All rights reserved. No part of this book may be reproduced in any form or by any means without prior permission of the publisher.

شعر

د. معتز علي القطب

آخر صورة لمولاتي

AL JUNDI
PUBLISHING HOUSE

الفهرست

إهداء 7

إلى مولاتي 9

المحبة النبوية 12

في رحاب ذكرى الإسراء 20

في أحضان القدس 26

مملكة في قصيدة 31

ميراث القرن العشرين 35

الأميرة النائمة 55

آخر صورة لمولاتي 61

روعة مولاتي 74

منارة عربية 78

آخر صورة للمسجد الأقصى 81

الحقيقة والسراب 89
سلام القدس للعرب 93
أجمل الهوى 96
إلى أسرانا البواسل 103
بنت الأرض 106
الجرح 111
قصة مدارس القدس 117
تحية للترك في ذكرى قافلة الحرية 127
تحيه إلى وطني فلسطين 132
لماذا الحجاب 136
ثورة الشباب العربي 140
قافية الحرية 146
إلى شهداء فلسطين والشباب العرب 150
سكرات الحياة 153
أرض فلسطين 156
التلوث البيئي 161
تحية إلى خريجي جامعة القدس والجامعات الأخرى 167

إهداء

إلى مولاتي القدس وسيدتي فلسطين..

إلى أهلها، وزوارها، ومن مرَّ عليها،

أو صلى في مسجدها أو في كنائسها، أو اشتاق إليها..

إلى أهلي وخاصتي فيها..

إلى أسراها وأرواح شهدائها ومن دفن في ترابها..

إلى ثراها وحجارتها..

إلى هوائها ومائها وشمسها..

أهدي هذا الديوان.

معتز علي القطب

(القدس الشريف)

إلى مولاتي

ولـــدتُ بدولـــة العـــشَّاق حيـــث الحـــبُّ قـــد وهِبَـــا
ويغـــرفُ قلبـــي الإيـــمانَ والإســـلامَ والأدبَـــا
نـــشأتُ أردّدُ الإنـــشادَ والألحـــان والطّربَـــا
بمدرســـةٍ مـــع العـــشّاق كنـــت هنـــاك مُنتـــسبَا
درســـتُ عـــلى يَـــدَي مـــن يعـــشق التَّـــدريس والكُتبَـــا
حملـــتُ شـــهادةً عُليـــا، وجئـــت أُعلّـــم الحُبّـــا
وأَكتـــب مرجعًـــا في العلـــمِ للعـــشَّاق قـــد كُتبَـــا
أنـــا مَـــن درَّس الإنـــسانَ علـــمًا كـــان مُكتـــسبَا
لفـــنّ العـــشق مدرســـةٌ عظـــيمٌ علمُـــه طُلبَـــا
أنـــا مـــن حـــاز أوســـمةً، ولامـــسَ علمُـــه الـــشُّهبَا

أداوي جـــرح مـــن عـــشقوا، وثـــار لـــديهم اللّهبَـــا

طبيـــب القلـــب يـــسألني، إذا مـــا احتـــارَ أو غـــضبَا

يفـــتّش في قلـــوب النَّـــاس حتّـــى يـــبرئَ العطبَـــا

وكـــان بعلمـــهِ لا يَعـــرف الأعـــراضَ والـــسّببَا

أيجهـــلُ أن قلـــب النَّـــاس في العـــشَّاق قـــد سُـــلبَا

فلـــيس هنـــاك قلـــبٌ في صـــدور النَّـــاس محتجبَـــا

متـــى عـــشقوا فـــإنَّ القلـــب في الأحـــشاء قـــد نُهبَـــا

أنـــا مـــن طـــافَ يَـــسقي النَّـــاس كـــأس الحـــبِّ محتـــسبَا

ســـبيلاً كـــان للعـــشّاق مـــن كفِّـــي أنـــا عـــذبَا

شـــهيَّ الطّعـــمِ مثـــل الـــشّهد حلـــوًا كـــان لـــو شربَـــا

بحبّـــك ســـيّدي المختـــار نلـــتُ النّـــور والـــشُّهبَا

وكنـــت المرجـــع الأعـــلى، لفـــنِّ العـــشق لـــو طلبَـــا

بحبّـــك بلـــدة الإسراءِ صرت أُطـــاول الـــسُّحبَا

بحـــبِّ القـــدسِ والأقـــصى، لـــذاك الحـــبّ قـــد وهبَـــا

يفـــيض الحـــبّ مـــن حـــولي شرابًـــا كـــان قـــد ســـكبَا

أبيـــتَ أســـامح الإنـــسانَ عـــن ذنـــبٍ ولـــو حُجبَـــا

ويـــسري الحـــبُّ مـــن جـــسمي، يـــزور الغـــربَ والعربَـــا

يطـــوف عـــلى عبـــاد الله في بلـــدي قـــد انتـــسبَا

فحـــبُّ القـــدس محتـــدمٌ، عـــلى الأحبـــاب قـــد غلبَـــا

المحبة النبوية

(إلى مقام سيّدي ومولاي رسول الله صلى الله عليه وسلم)

أَتُــوقُ إلى ثَــرى قــبرٍ كَــريمٍ
لأُعطـي صـاحبَ القـبرِ الـسَّلاما
رســـولٌ لا يُباثِـــلُهُ عَظـــيمٌ
رَفيــعُ القــدرِ جــاءَ لنــا إمامــا
تجـولُ بروضَـةِ الحُجُـراتِ روحـي
وقلبــي كــانَ في الأرجــاءِ حامــا
فُــؤادي مُغــرَمٌ بِخُطــى حَبيبــي
بِــسيرَةِ أحمَــد المختــارِ هامــا
بِمولِـــدِهِ تَهلَّلـــت البرايـــا
بَـــشائِرُ شـــاءَ رَبّي أن تُقامـــا

أَتــى لــلأرضِ يَملَؤهــا ضــياءً

وكــانَ الظُّلــمُ يَملؤهــا ظلامــا

فأشرقــت الــبِلادُ لمــن أتاهــا

فكــلُّ الأرضِ كــانَ بهــا قتامــا

وفــاحَ أَريجــهُ في كــلِّ ركــنٍ

يُطيِّــبُ في مَــسيرته الأنامــا

وقــامَ عــلى رُؤوسِ الخلــقِ يــدعو

لِــدينِ الله يَجتهــدُ الزّمامــا

كمــصباحٍ أَضــاءَ لَنــا دُجانــا

يُنــيرُ بِنــورهِ بــدرًا تمامــا

كَــأنّ المعجــزات أتــينَ طوعًــا

وجــئنَ إليــه يطلــبن التئامــا

بكفِّــهِ أمــست الخــيراتُ تجــري

تمــدُّ الكــونَ عــزًّا لــن يُــضاما

عـــلى بطحـــاءِ مكـــة أو ثراهـــا

تَـــراهُ المجـــدَ في الـــدنيا تَـــساما

يطـــوفُ عـــلى عبـــادِ الله نـــورٌ

فيطـرقُ قلـبَ مـن شـاءَ القوامـا

بمكَّـــة عـــادت الأنـــوار تـــأتي

وعـــاد البيـــت في الـــدُّنيا حرامـــا

أُحِبُّـــكَ يـــا أبـــا الزَّهـــراءِ حُبًّـــا

أُضـــيءُ بـــهِ فـــؤادي والمُقامـــا

فمنـكَ النُّـورُ والأخـلاقُ تَـسري

تَـسوقُ لنـا الـسَّعادَةَ والوئامـا

وبـــينَ يَـــديكَ تـــمَّ الـــدِّينُ فينـــا

ونعمـــةُ ربّنـــا تـــمَّت خِتامـــا

أتيـــتَ بِكُـــلِّ خـــيرٍ أو بيـــانٍ

بـــدينٍ صـــارَ للـــدُّنيا نِظامـــا

تُوضِّـــحُ كـــلَّ أمـــرٍ في جَـــلاءٍ

بوجـــهٍ لا يكـــونُ لـــهُ لِثامـــا

مـــع الأفـــضالِ دينُـــكَ في وئـــامٍ

ومعـهُ الـرِّجسُ كـان لـه خِـصاما

نُحِبُّـــكَ مـــن سِـــواكَ لنـــا عظـيمٌ

لِنُعطيـــــهِ المَحبَّـــــةَ والغرامـــــا

فِعالُـــكَ لا تَـــزالُ لنـــا سِـــلاحًا

تُـــصوِّبُ في مَحبَّتِـــكَ الـــسِّهاما

وتَـــسري ســـيرَةُ الهـــادي إلينـــا

فتأسِرُنـــا خواصًـــا أو عوامـــا

لهـــا أثـــرٌ إذا قُـــصَّت عَلينـــا

تَـــسرُّ الـــشَّيخَ منهـــا والغُلامـــا

وجـــوهُ المـــؤمنين بـــه بريـــقٌ

يخالطـــهُ متـــى ذكـــرَ ابتـــساما

وقلـــبُ المـــسلمين لَـــهُ أَنـــينٌ

يَحـــنُّ لـــذكر طـــه كـــي يُرامـــا

فذكرك يا حبيب الروحِ مسكٌ

يُعطِّـــرُ في مَجالـــسنا الكلامـــا

وَحُبُّـــكَ أيُّهـــا المختـــارُ فينـــا

غـــذاءُ الـــرُّوحِ كـــانَ لهـــا دعامـــا

كـــساكَ اللهُ بـــالأخلاقِ ثوبـــا

وفَـــصّلَهُ فكنـــتَ فتـــىً هُمامـــا

وشـــاءَ اللهُ أن تَبقـــى عَظـــيمًا

وَتُـضرَبُ حـولَ مـسجدكَ الخيامـا

أَحبَّـــكَ تـــابِعونَ بكـــل وقـــتٍ

وفـاضَ الـشُّكرُ قـولاً بـل ودامـا

فتلـــكَ فعالُـــكَ البيـــضاء فينـــا

بـصدرِ الكـونِ صـار لهـا وسـاما

عليــكَ اللهُ شــاءَ بــأن يُــصلِّي

صــلاتَهُ رحمــة ظلَّــت دوامــا

كــذاك الخلــقُ والإنــسانُ صــلَّى

دعــاءٌ كــانَ مــن ربِّي لزامــا

أُحِبُّــكَ فــاقَ حُبُّــكَ كــلَّ شيءٍ

بِحبِّــكَ أمــلأُ الــدُّنيا هيامــا

قطفنــا مــن ثِــمارِكَ كــلَّ خــيرٍ

فواكــه غــضَّةً كانــت طعامــا

غــذاءُكَ لــذَّة مــن كــلِّ نــوعٍ

يتــوقُ إليــهِ مــن بلــغَ الفطامــا

نُقــرُّ بِأنَّنــا في كــلِّ أمــرٍ

وَجــدنا في بِــضاعَتِكَ الــسَّلاما

ونــدعو الله أن نلقــاكَ يومًــا

فتــسقينا إذا جئنــا الزّحامــا

وتـــشفَعُ في خطايانـــا وتـــأتي

تَرانـــا في الحـــسابِ غـــدًا كرامـــا

رســـولُ الله تنطِقُهـــا شِـــفاهي

فـــألمَسُ مـــن فـــضائِلها الغَمامـــا

كـــأنِّي أملـــكُ الـــدُّنيا بقَـــولي

رســـولُ الله جـــاءَ لنـــا إمامـــا

كأنَّـــكَ إن ذكـــرتَ النُّـــورُ يـــسري

يُلامِـــسُني ويخـــترقُ العظامـــا

وتبقـــى سُـــنَّةُ المختـــارِ فينـــا

تُعلِّمُنـــا صـــلاةً أو صـــياما

كُنـــوزٌ لا يُخالِطُهـــا دَخيـــلٌ

مـــن العلـــماءِ جاءتنـــا رُكامـــا

ورثناهـــا بـــدنيانا فكانـــت

تفـــوقُ بُوزنِهـــا ذَهَبًـــا وَجامـــا

بِحبِّــكَ صــارَ للإســلامِ مجــدٌ

ولــيسَ كــما يقولــونَ الحُــساما

وددتُ بــأن أزورك كــلَّ يــومٍ

أُقبِّــلُ في مــدينتِكَ الحمامــا

وآتي القبَّــةَ الخــضراء دومًــا

بمــسجدِ سـيِّدي أهــوى المُقامــا

في رحاب ذكرى الإسراء

تَهـزُّ القلـبَ ذكـرى مـن بِـلادي
لمبعـــوثٍ لـــه كـــلّ الثّنـــاءِ

أتـــى في رحلـــةِ الإسراءِ نـــورٌ
لِيهـدي القـدسَ مـصباح الـضّياءِ

تمـــرُّ عـــلى عبـــاد الله ذكـــرى
لأَعظـــم زائـــرٍ نحـــو الـــسّماءِ

وجاءتنـــا تنـــيرُ الـــرُّوحَ بُـــشرى
محطّـــاتٌ بهـــا كـــلّ البهـــاءِ

رسـولُ الله صـوبَ القـدسِ يـسري
ويحملـــهُ الـــبراقُ وفي الهـــواءِ

يُــذكِّرُنا بــأنّ القــدس بيــتٌ

يحــجُّ إليــه كــلُّ الأتقيــاءِ

ويُرشِــدُنا إذا مــا اشــتدّ كــربٌ

بــأنَّ الأرض أهــلٌ للفــداءِ

مكــانٌ كــانَ في الــدّنيا عظــيمًا

وفيهــا ذكــرُ كــلّ الأوليــاءِ

كــأنَّ الــدَّهر قــد أَهــدى إلينــا

مــن الآثــارِ ذكــرى للوفــاءِ

إذا مــا جــاء ظلــمٌ في زمــانٍ

تظــلُّ القــدسُ دارًا للإبــاءِ

نَبِــيُّ النّــاسِ قــد ســالت لــدينا

دمــوعٌ في العيــونِ مــن الحيــاءِ

بــذكرِ القــدسِ والمبعــوث فينــا

أَنبكــي أم نُــسرُّ مــن الرّجــاءِ

وتلـكَ عيوننـا قـد جـفَّ فيهـا

أريـجُ العـينِ مـن فعـلِ البكـاءِ

بَكينـا يـا رسـولَ اللهِ حبًّـا

وبعـضُ الـدَّمعِ كـانَ مـن العنـاءِ

فـما زِلنـا نَـئنُّ عـلى صِـباها

ونـذكرُ عزَّهـا زمـنَ الرّخـاءِ

ومـا زالـت لنـا فيهـا حيـاةٌ

سـنحيا لـن نُبـالي بالجفـاءِ

بَكينـا لـو ذُكـرت بـأيّ أرض

وأرضُ القـدس أعظـم بـالولاءِ

نُحبُّـكَ يـا عظـيمَ القـدرِ فينـا

فُحبُّـكُ في الـبلاءِ مـن العـزاءِ

نُحبُّـكَ يـا إمامًـا جـاءَ منّـا

يُعلِّمُنـا دروسًـا في البنـاءِ

نَبِـــيٌّ قـــد دعـــاهُ اللهُ ربّي

يُعلِّمُـــه الـــصّلاةَ مـــع الـــدّعاءِ

فجـاء القـدسَ مـوطن كـلّ خـيرٍ

فتلـــك طريقـــهُ نحـــو الـــسّناءِ

عظـــيمًا لا يـــزال بكـــلّ وقـــتٍ

عـــسى نلقـــاهُ مـــن بعـــدِ الفنـــاءِ

تظـــلُّ زيـــارةُ المختـــارِ منَّـــا

لأهـــلِ القـــدسِ زادًا للبقـــاءِ

وذكـــرى للنبـــيِّ عـــلى ثراهـــا

تعـــينُ النّـــاسَ في وقـــت الـــبلاءِ

نُحبُّـــكَ أيّهـــا الـــسَّاري بليـــلٍ

ليعطـي القـدسَ حقًّـا في العطـاءِ

عليهـــا كانـــت النّفحـــاتُ تـــأتي

لـــتعلنَ أنّهـــا أرضُ اللّـــواءِ

مكـــانٌ في القلـــوبِ لهـــا عظـــيمٌ

ظفرنـــا نحـــن فيهـــا بالهنـــاءِ

كـساها العـزُّ مـا شـاءت لتغـدو

عـلى مـرِّ الزَّمـان مـع الكـساءِ

كـــأنَّ تُرابَهـــا في كـــلِّ ركـــنٍ

بـه البركـاتُ شـعَّت في الفـضاءِ

ســـفيرُ الله جـــاء إلى بـــلادي

إذا نـــــــاداهُ ربّي للِّقـــــــاءِ

طريـــقٌ كـــانَ للـــرَّحمنِ يـــأتي

ويوصـلُ مـن دعـاهُ إلى العـلاءِ

وسرٌّ لا يـــزالُ بهـــا دفينًـــا

كـــأنَّ بهـــا مفـــاتيحَ الـــسّماءِ

هنـــا صـــلَّى رســـولُ اللهِ فيهـــا

وكـــانَ إمـــامَ كـــلِّ الأنبيـــاءِ

هُنـــا شـــاء الإلـــهُ لَـــه مَقامًـــا

كمنتَظِـــــــرٍ لإذنٍ أو نـــــــداءِ

فـأرض القـدسِ فيهـا كـلّ خـيرٍ

عَـــسى ربّي ســـيلطفُ بالقـــضاءِ

صـــامدون هنـــا مـــا أرادَ القـــدر

إن أتانـــا الـــدُّجى فـــسيأتي القمـــر

ســـوفَ تبقـــى لنـــا قُدسُـــنا والـــدُّرر

كـــلُّ شـــبرٍ بهـــا قـــصَّةٌ أو خـــبر

مـــن ســـواعدنا كـــان ذاك الحَجـــر

مـــن غـــراسٍ لنـــا جـــاءَ ذاكَ الـــشَّجر

إنَّنـــا وحـــدنا جـــاءَ منَّـــا الحـــضر

مـــن سِـــوانا لـــه أصـــلٌ لا صـــور

صـــامدون هنـــا فيهـــا نفتخـــر

حُبُّهـــا بيننـــا عهـــدٌ ينتـــشر

في ثراهـــا لنـــا جـــذرٌ يَنحـــصر

تلـــكَ أجـــسادُنا منهـــا تَنحـــدر

تلـــك آثارُنـــا قـــد رآهـــا البَـــصر

مـــن جـــدودٍ لنـــا لا يـــزالُ الأثـــر

لا تـــزال لنـــا رغـــم هـــذا الـــشَّرر

في الفـــؤادِ لهـــا موقـــعٌ أو حُجَـــر

في العيـــونِ لهـــا رَســـمٌ يُختَـــصر

مثـــل لؤلـــؤةٍ سرَ منهـــا النَّظـــر

رغمَ كيدِ العدى سيزولُ الـضَّجر

صـــامدون هُنـــا كـــي يعـــودَ الظَّفـــر

بـــل ونعطـــي بهـــا درسًـــا يعتـــبر

أن حـــبَّ الحيـــاة هنـــا يزدهـــر

كـــلُّ شيءٍ لنـــا بـــانَ هـــل ينـــدثر

إن تَركناهـــا روحُنـــا تُحتـــضر

فـوقَ تـلٍّ بهـا كـانَ يحلـو الـسَّهر

مثـل لحـنٍ جميـل يكـون الـسَّمر

في الطَّريـقِ لهـا سـيزولُ الـوعر

وتـضيءُ لنـا شـعلةً تـستعر

مـا لنـا غيرُهـا كـي يعـاشُ العمـر

كلُّنـا ملكهـا أمَّـةٌ أو نفـر

سـوف نحيـا هنـا قـولاً مختـصر

لـن نفارقهـا فـردٌ أو أُسر

صـامدون هنـا كـي تعـودَ الـسِّير

ذكـرُ أبائنـا درسٌ أو عـبر

مـن دمـوعٍ لنـا سـيعمُّ المطـر

يـسقي مـا حولنـا لِيعـودَ النّضر

صـامدون عـلى ظلـمٍ يُزدجـر

كـي تعـودَ لنـا تحفـةً تُنتَظـر

سـوف يحيـا بهـا أهلهـا والزَّهـر

بعـد ليـلٍ طويـلٍ سـيأتي الـسَّحر

مـن يُـساعدنا كـي يعـودَ البـصر

فيـــشاهِدُنا أهلنـــا والبـــشر

لــن نغادرهــا لــو دعانــا الــسَّفر

مــا لنــا غيرهــا ذاك كــان القــدر

لحظـــة في ثراهـــا علينـــا تـــدر

صـــحَّةً أو حيـــاةً بهـــا نـــستمر

كـــلُ شيءٍ لنـــا بـــان لا يـــستتر

كـــل ذاك لنـــا منظـــرٌ أو ثمـــر

سـوف نبقـى هنـا صـخرة أو حَجَـر

مؤمنـــون إذا لاح منهـــا الخطـــر

ســـوف يـــأتي لنـــا أمـــر معتـــبر

ذاك وعـــد الـــسَّماء لنـــا يقتـــصر

وســـندعو الإلـــه ليـــأتي الظَّفـــر

حامـــدون هنـــا في ثراهـــا نـــسر

كـــلُّ ذنـــب بهـــا ربـــما يـــستتر

مـــا عـــدا هجرهـــا ذاك لا يغتفـــر

أَتيتُ أكتُبُ عن جُرحي وعـن أَلَمي

أَخُـطُّ حُـزني وَأَروي فيـهِ أَنبـائي

ألـوذُ بالـشِّعرِ أَبنـي منـهُ مملَكَتـي

كـما أُريـدُ بِـأحلامي وأَهـوائي

الجرحُ ما زالَ في قلبي وفي كَبِدي

وفي دمـائي يَجـولُ الآنَ أعـدائي

أَنـا الوَليـدُ بِعـصرٍ لا يُناسِـبُني

فهـل تُعـادُ نِطافـاتي لآبـائي

عَـسى يُـؤخَّرُ مـيلادي فَيـدرِكُني

عَـصرٌ جَميـلٌ ومجـدٌ في أَحبـائي

أم هل سَأُدرِكُ لو وفَّرتُ من نَفَسي

أنسامَ أَنفاسِ أَبطالٍ بهيجائي

إني أريدُ شَهيقًا كانَ في زمنٍ

زفيرُ أمجادِ أجدادي أعزائي

حتى تَضُخَّ شراييني وأوردتي

دِماءَ عِزٍّ لأوصالي وأحشائي

أنامُ والرَّسمُ في عيني يُصوِّرها

تختالُ دونَ بلادِ النَّاسِ أحيائي

تزهو مكانتُها والعلمُ زيَّنَها

ستُّ الأماكنِ مولاتي وحسنائي

أفيقُ أُدرك أن الحلمَ راودني

فلا تزالُ تعاني البأسَ أرجائي

سُلِبْتُ كلَّ كَراماتي وأَمتعتي

فمن يُعيدُ لداري كلَّ أشيائي

أنـا وحيـدٌ وذئـبٌ بـاتَ يَرصُـدُني

فأســـتَغيثُ بـــإخواني أشـــقائي

فـــلا مغيـــثَ أراه اليـــوم ينقـــذني

والذئبُ يَشتَّمُ منذُ الأمسِ أجزائي

ولـيسَ يوجَـدُ غـيرُ القـبرِ يَـستُرُني

إن ظـلَّ شـبرٌ بأوطـاني لأشـلائي

حـــزني عميـــقٌ وأمجـادي مُبعثـرةٌ

تشكو المهانَةَ والأمـراضَ أعـضائي

فهـــل أُسَرُّ بعـــصرٍ كلُّـــهُ نِعَـــمٌ

تَـضيعُ فيـهِ مَـع الأيَّـامِ أسـمائي

أم هـــل أُسرُّ بمـــذياعٍ وأجهـــزةٍ

تَبـثُّ مِـن يومِهـا أحـزانَ بيـدائي

تلـك الوسـائِلُ بالأخبـارِ تُزعِجُنـي

كَأنَّهـا اختُرِعَـت مـن أجـلِ إيـذائي

هــذا زَمــاني وحــولي كــلُّ مُؤذيــةٍ

فكيــفَ أَنقُــلُ مَأســاتي لأبنــائي

فمــن يَــردُّ إلى عَــصري نَــضارتَهُ

يُحيــي فُــؤادي وإحــساسي بــآلائي

نـــساقُ بـــإرثِ قـــومٍ مُخطئينـــا

كأنَّـــا نحـــنُ بِتنـــا المـــذنِبينا

حـــسبتُ الإرثَ مـــالاً أو عقـــارًا

ولـــيسَ مهانـــة تنـــدي الجبينـــا

نعـــاني الـــضَّيمَ إنّـــا مـــذ ولـــدنا

يُـــشيِّبُ وضـــعُنا اليـــوم الجنينـــا

أأضـــحى الـــذُّلُّ في الأجيـــالِ عُرفًـــا

وأمـــسى القهـــرُ تربيـــةً ودينـــا

وبُعثِـــرَ إرثُ أجـــدادٍ عظـــامٍ

وغابـــت شـــمسُ قـــومٍ فاتحينـــا

وضـاعَ المجـدُ تاجًـا مـن وقـارٍ

وأَصـــبحنا جميعًـــا راكعينـــا

مـن المسؤولُ عـن تلـك الخطايـا

ليحمـــلَ وزرَ مأســـاة البنينـــا

أرادَ العـــيشَ يومًـــا في نَعـــيمٍ

فـأتعسَ عيـشةَ الأجيـالِ فينـا

فهـل دامـت لـهُ رغـداء عـيشٍ

ليترُكُنـــا بـــدَينٍ غارقينـــا

فـلا وصـفٌ يليـقُ بمـن تخلّـوا

وخـانوا مِلَّـة الأحـرارِ حينـا

وزادَ الحمـــلُ في أبنـــاءِ قـــومي

وصـارَ الـذُّلُّ حـالَ المؤمنينـا

نبـاعُ مـع الـبلادِ بكـلِّ أرضٍ

ونـشربُ ماءَنـا كـدرًا وطينـا

وأُلبسنا وشاحًا من خرابٍ

يزرُّ بقفله زرًّا متينا

تداعى من بقاعِ الأرضِ خلقٌ

ليأكلَ لحمنا أو يشترينا

ورُبّينا على عاداتِ سوءٍ

فلم تعدِ المروءَةُ تصطفينا

أعادونا لعاداتٍ سوادٍ

لنسبقَ سوءَ خُلقِ الجاهلينا

نساسُ ونتبعُ الظُّلامَ فينا

وإن دَخلوا جحورًا أو عرينا

عبيدًا قد أرادونا جميعًا

لنتبع ظلَّهم مُستسلمينا

وسلَّوا أشرَفَ الأوطانِ منَّا

وما زلنا نُصدّقُهم يقينا

فقـدنا القُـدسَ فيهـا كـلُّ خـيرٍ

وأعمونـــا فـــضعنا صـــاغرينا

وصـــدَّقنا بـــأنَّ الغـــربَ يـــأتي

لينـــصُرنا ومـــنهم قـــد بُلينـــا

أتونـــا يحملـــون الـــوردَ طُعـــمًا

وأخفـــى ثـــوبُهم غِـــلاًّ دفينـــا

وخبّـــوا خِنجَـــرًا في كـــلِّ جيـــبٍ

ودسَّـــوا سُـــمَّهم كالماكرينـــا

وأعطونـــا هـــدايا مـــن سرابٍ

وغـــشُّونا وكـــانوا كاذبينـــا

فَتحـــتَ ثيـــابهم في كـــلِّ وقـــتٍ

أفـــاعي لا يـــزلن مُـــصلَّتِينا

ونتـــبَعَهم فكيـــفَ سينـــصرونا

وقـــد أمـــسوا لأعـــداءٍ قرينـــا

نُمَنّـى بـالخلاص ونحـن نـدري

فقـد كَـذَبوا وكـانوا مجرمينـا

ونلهَـثُ خلـفَ مـن جـاؤوا جميعًـا

ليؤذونـا فنبقـى خاضـعينا

ونـستجدي سـلامًا مـن أفـاعٍ

ونُـسقى سـمّها عـسلاً ولينـا

لنلـدغُ كـلَّ يـومٍ مـن فعـالٍ

ومـا زلنـا نُـسلّمُ خانعينـا

وغلّونـا بـأغلالٍ ثقـالٍ

لنـشرَبَ مـا أحبُّـوا سـاكتينا

نهـانُ ويفعلـوا مـا قـد أرادوا

وذلُّونـا وكنَّـا مُـصفدينا

وهـل نُعْطَـى سـوى وعـدٍ كـذوبٍ

ويُعْطَـى غيرُنـا مـددًا معينـا

كطفـــلٍ داعبـــوهُ مـــن بَعيـــدٍ

إذا أمـــسى مريـــضًا أو حزينًـــا

وتلـــكَ حِكايـــةٌ تـــروى مـــرارًا

تبـــدَّلَ لاعِبوهـــا في ســـنينا

نُلهّـــى إن رَفعنـــا الـــرَّأسَ يومًـــا

ونظلـــمُ في المـــساءِ ومُـــصبحينا

نبـــاعُ ونُـــشترَى في كـــلِّ أرضٍ

وحـــدِّدَ سِـــعرُنا للطَّالبينـــا

وضِـــعنا بالـــسَّلامِ فَهـــل وَعينـــا

لِنطلُـــبَ نجـــدة أو مُنقِـــذينا

أذابـــوا مـــا أرادوا مـــن بـــلادي

وســـلُّوا مـــا تَبقَّـــى ماكرينـــا

فتلـك الأرضُ مـن طـولِ اللَّيـالي

فقـــدناها وكنَّـــا الخاسرينـــا

نهـرول خلـف طيـفٍ مـن خيـالٍ

نـــصدّق وصـــفَنا بمُحرّرينـــا

وأوحـــى الله لا يـــؤذى عبـــادي

مـــرارًا مـــن جحـــورِ الظَّالمينـــا

فكيـــف نكـــونُ عبَّـــادًا لـــربٍّ

ونعـــشَقُ لـــدغهم كالمـــدمنينا

ونُكـــوى مـــن قريـــبٍ أو صـــديقٍ

إذا أَغـــراهُ وعـــدُ الغاصـــبينا

يكـــونُ لهـــم صـــديقًا أو عزيـــزًا

فيـــضربُ في رقـــابِ الأقربينـــا

بنينـــا نحـــنُ في الأوهـــامِ حلـــمًا

فَـــصدّقنا وكنّـــا لاعِبينـــا

أرى الأخلاقَ ضاعت بينَ قُومي

وهـــاموا خلـــفَ قـــومٍ فاجرينـــا

أضعنا من صفاتِ المجد فينا

مكارم كانت الحصنَ الحصينا

فلا غوثٌ ولا كرمٌ ولكن

سِماتٌ من عبادٍ سيّئينا

نردِّدُ إنَّنا خير البرايا

ولا ندري بأنَّا خائنينا

وأمسينا لدِين الله عبئًا

وخنّا عهد خيرِ المرسلينا

فسادٌ سوءُ خلقٍ وانحرافٌ

ليلحقُ ديننا بالمجرمينا

نسينا الذِّكرَ في الأرجاء يُتلى

وفيهِ مكارمٌ للعالمينا

وأصبحنا جميعًا دون فرقٍ

عرايا كلَّنا للنَّاظرينا

وأهــلُ العلــمِ فتــواهم لأمــرٍ

يفــصَّلُ حــسبَ رأي الطَّالِبينــا

فــلا فتــوى لنــصرةِ مــن تــأذَّوا

ولا حتَّــى لغــوثِ اللَّاجئينــا

ويفتــي هــذه بــدعٌ وإثــمٌ

ويُــسكتُ والكبــائرُ تــصطلينا

أليــست نــصرةُ الإخــوان فرضًــا

وتحريــر الــبلاد مقــدّمينا

وغــوثُ النَّــاسِ في الإسـلامِ ركــنٌ

وإرجــاعُ المــساجد طاهرينــا

نــصرٌ وذاك مــا يدميــه قلبــي

بأنَّــا نحــنُ جنــدٌ مــسلمينا

حَملنــا الــدِّينَ بــالأخلاقِ دهــرًا

فكــان ردائُنــا مــا قــد حَيينــا

وهـم قـد أفـسدوا الأخـلاق فينـا

فـما عـدنا نليـقُ بـذاك دينـا

فكيـفَ يحمّـلُ الإسـلامُ وزرًا

عقـوقٌ مـن بنيـه القاصرينـا

فهـل رَغبـوا بهـدم الـدِّين قـصدًا

وهـل جَهلـوا فكـانوا مُـذنِبينا

فـدينُ الله وعـدٌ منـه يبقـى

يـصانُ بفـضلِ ربِّ العالمينـا

ولـو جَمَعـوا ودسُّـوا كـلَّ خبـثٍ

ستـشرقُ أرضُـنا بالمهتـدينا

ورغـم العيـبِ والتَّقـصير منَّـا

نـراهم يَقبلـوا الإسـلام دينـا

ولكنّـي أريـدُ العُـربَ تَـصحوا

يلبُّـون النِّـداءَ مُبـشِّرينا

فقــد زاغــوا قلــيلاً عــن صراطٍ

ولــو حَفظــوه ظُلّــوا الأكرمينــا

متــى يــأتي ربيــعٌ في بــلادي

ويزهــرُ وردهــا أو يَرتَــضينا

أرى الأيَّــامَ تُطــوى كــلَّ يــومٍ

ولــيس بأفقهــا بطــلاً رزينــا

فهــل عجــزت نــساءٌ مــن بــلادي

بــأن ينجــبن أبطــالاً تُرينــا

بــأنَّ الحــقَّ يرجــعُ ذات يــومٍ

يــدافعُ عــن عبــادٍ مؤمنينــا

ألا رجــلٌ يــسدِّدُ مــا علينــا

فيكتــبُ في ســجلِّ الخالــدينا

يكفكــفُ دمعنــا بيديــه يــأتي

يجيــبُ نــداءَ قــومٍ مقهرينــا

عــسى الحُــرَّاتُ تنــشئهُ فيمــضي

يــــسودُ لأنَّـــه الأمـــل المعينـــا

أرى التَّـــاريخَ خلَّـــدهم رجـــالاً

عـــلى صـــفحاته نـــورًا حيينـــا

وفي صـــفحاتِ ســـودٍ قـــد يُرينـــا

رجـــالاً يلعنـــوا لعنًـــا مهينـــا

متـــى يـــا ربُّ نـــنهضُ مـــن جديـــدٍ

ونـــنفضُ وزرَ قـــومٍ غافلينـــا

نعيـــدُ لـــدينا مجـــدًا تليـــدًا

ونبـــدأ صـــفحةً لا تَزْدَرِينـــا

نـــورّثُ كـــلَّ خـــيرٍ بـــل ونبقـــى

لـــشكرِ اللهِ دومًـــا ذاكرينـــا

عـــسى يـــأتي مـــن الـــرَّحمنِ لطـــفٌ

لأجـــل محمَّـــدٍ والمـــسلمينا

متـــى شـــاءَ الإلـــه يـــردُّ قـــومي

عـــلى نهـــرٍ تفـــرَّقَ مـــن ســـنينا

عـــلى جنباتـــه جنَّـــاتُ خـــيرٍ

وحـــولَ النَّهـــرِ دُور المـــسعدينا

يعـــودُ يـــسيرُ بـــين الخلـــق يجـــري

ومـــن مجـــراهُ يـــسقي الفائزينـــا

تحـــوَّلَ جـــدولاً مـــن بعـــد ظلـــمٍ

ونبعًـــا لا يـــزالُ لنـــا معينـــا

تبعثـــر في بـــلاد النَّـــاس يمـــشي

يلوِّثـــه فعـــال المخطئينـــا

يخالِطـــهُ أذىً مـــن كـــلِّ أرضٍ

ويفـــسدُهُ أنـــاسٌ مُجرِمينـــا

يعـــودُ لنـــا بـــإذن الله ربِّي

نقيًّـــا ســـائغًا للـــشَّاربينا

زلالٌ ســـائغٌ ينـــسابُ شـــهدًا

فنـشرب مثـل ظمـأى مـا رُوينـا

عسى يجري فيسقي الأرض عـدلاً

فقـــد ملئـــتْ بجـــورِ المفـــسدينا

وكانـت قبـل عهـدِ الظلـمِ تُـروى

فيطلـــــعُ خيرُهـــــا للعالمينـــــا

فقـد جفَّـت بقـاع الكـونِ حـولي

فهـل تجـري وتـروي المؤمنينـا

فيـا أسـفي ونحـن نعـيشُ نحيـا

حيـــــاةً في زمـــــان المقهرينـــــا

عـسى نُـسقى مـع الأحـرارِ كأسًـا

نتـــوقُ إليـــه مـــذ كُنّـــا بَنينـــا

عـلى وطنـي سَـنبكي كـلَّ يـومٍ

ولـــن ننـــسى ثـــراهُ مـــا حَيينـــا

نُسجِّلُ كلَّ شبرٍ ما عَليهِ

لِنرجِعَهُ لأصلٍ واثقينا

وأحصينا تُرابَ الأرضِ فيه

وكنا للتّراثِ موثّقينا

ودوّنا الطيورَ وأين تأتي

تعشِّشُ أو تمرُّ كزائرينا

وأزهارٌ هنا وهُناكَ تبدو

لآلِئَ في نُحورِ السَّاكنينا

وأشجارٌ من الزَّيتونِ كانت

تُحَيّي في الرِّياحِ القادمينا

وكيفَ ثمارُه نَضَجَت لِتعطي

هدايا أهلها والعابرينا

وعلّمنا الرِّياحَ وأين تغدو

تقبِّلُ ما تراه إذا جرينا

نخـــطُّ معـــالمَ الكانـــت عليـــهِ

بـــأرضٍ أو فـــضاءٍ عالمينـــا

رســـمنا في دفاترنـــا ثـــراهُ

وصـــوَّرنا وكنَّـــا كاتِبينـــا

وآمنَّـــا بيـــومٍ ســـوفُ يـــأتي

يعـــودُ لنـــا عَظـــيمًا أو مَتينـــا

قصـــصنا مـــا جَـــرى فيـــه بيـــومٍ

كـــذاك الجـــرحُ فيـــه لكـــي يَبِينـــا

وآهـــاتٌ وأوجـــاعُ اللَّيـــالي

تؤرِّقـــهُ ويـــصبرُ مـــذ بُلينـــا

حَفظنـــا مـــا تهـــدَّمَ مـــن قـــراهُ

ولـــن ننـــسى خبيئًـــا أو دفينـــا

ودورًا أيـــنما نثـــرت وغابـــت

ومـــن نَزحـــوا ومـــاتوا مقهرينـــا

وأســـماءً هنـــا وهنـــاك عاشـــتْ

ووثَّقنـــــا وكنّـــــا حافظينـــــا

وأيـن الـسَّيلَ كـان يفـيضُ يجـري

وقَـــدَّمنا وثـــائق شـــارحينا

كـذاك الغـيمَ أيـن يـسيرُ يمـشي

ليـسقي النَّـاسَ مـاء المكرمينـا

ومـسكًا فـاحَ عطـرًا مـن حـصاه

يطيِّـــبُ أرضَـــهُ والقاطنينـــا

عـــلى أركانـــه أغـــصانُ وردٍ

وفي أرجائِـــه خـــيرٌ مبينـــا

سـنذكرُ كـلَّ مـن عاشـوا عليـه

ومـــوقعَهم وكـــانوا ماكثينـــا

ونَكتُـــبُ مـــا تَناقلـــهُ رُواةٌ

حكايـــا مـــن زمـــانِ الأوَّلينـــا

سَــنبني مــا تهــدَّم أو تَلاشــى

عــلى هــذا نُغلِّظــه اليَمينــا

بــلادٌ فــاضَ فيهــا كــلُّ خــيرٍ

كــذا الإحــسانُ كــانَ لهــا قرينــا

وقُطّــرَ في ثراهــا مــا تــراهُ

فطــابَ مزاجُهــا للــشَّاربينا

تــميَّزَ مــن بــديعِ الكــونِ ربِّي

وبــاركَ حولَــهُ حجــرًا وطينــا

وخَــضَّرَها وجمَّــل كــلَّ ركــنٍ

وكانــت قبلــةً للعالمينــا

نُحَيّــي مــوطني في كــلِّ أرضٍ

ونرســلُ قُبلــةً تــصلُ الجَبينــا

نواعــده لينظــرَ نحــو شــمسٍ

فننظُرهــا نــراهُ فيرتئينــا

نـــشاهِدُهُ بهـــا في كـــلِّ يـــومٍ

يرانـــا في الـــشُّموسِ مهلِّلينـــا

ويـــسعدنا إذا مـــا هـــلَّ بـــدرٌ

لنبقـــى في اللَّيـــالي ناظرينـــا

نقـــشنا اســـمه في كـــلِّ قلـــبٍ

وعاهـــدناهُ أنَّـــا المنقـــذينا

ولـــو مكـــروا جميعًـــا مكـــر ليـــلٍ

ســـيرجِعُ مـــوطني للمالكينـــا

ومهـــما طـــالَ موعـــدنا ســـنأتي

لنطـــردَ منـــه كـــلَّ المفـــسدينا

نقـــومُ فنمـــسح الأوســـاخ عنـــه

ونغـــسله بأيـــدِي الطَّاهِرينـــا

نطهِّـــر مـــا تـــأذَّى مـــن بـــلادي

ونـــسبل ماءنـــا والطُّهـــر فينـــا

هنـــاك بكـــلِّ شـــبرٍ قـــد أتاهـــا

رســـــولٌ أو عبـــــاد صـــــالحونا

وجـــاء إلى ثراهـــا خـــيرُ إنـــسٍ

أبـــو الزّهـــراءِ خـــيرُ المرســـلينا

فبجَّلهـــا وغـــادر مـــن ســـماها

ســـفيرًا نحـــو ربِّ العالمينـــا

وكـــان هنـــاك رســـل الله فيهـــا

وكـــان إمـــامهم فيهـــا نَبينـــا

فتلـك مـشاعرٌ مـن كـلِّ صـوبٍ

ســـتأتيها معبئـــةً حنينـــا

وكـلُّ النَّـاسِ والأعـرابِ حـولي

تتـــوقُ لكـــي نـــصيرَ مُحرَّرينـــا

ونحـــنُ عـــلى محبَّتهـــا سنمـــضي

نـــورّث حبَّهـــا الأجيـــال فينـــا

الأميرة النائمة

بَكـــت عينـــي وزادت في بُكاهـــا

عـــلى بلـــدٍ تَجهَّـــزَ للـــوداعِ

عـــلى بلـــدٍ كـــريمٍ كـــانَ يومًـــا

عظـــيم الـــشَّأنِ حـــصنًا للـــدّفاعِ

سأبكي بـل وأُبكِـي النَّـاسَ حـولي

عـلى القـدسِ الـشَّريفِ عـلى البقـاعِ

عـــلى شـــجرٍ وزيتـــونٍ وتـــينٍ

يـــصيرُ الآنَ مـــأوى لِلـــضّباعِ

عـــلى وطـــنٍ تقـــدَّسَ مـــن ثراهـــا

ويبحـــــرُ دون نـــــورٍ أو شراعِ

تلـــوم المـــؤمنين بكـــلِّ أرضٍ

وتـسألُ عـن قـريشٍ أو خزاعـي

فتـــاتُ مـــروءةٍ مـــن أيّ عـــصرٍ

تـسامت عـــن فـساد أو جـداعِ

تنادينـــا ونحـــن لهـــا جحـــودٌ

فلـــيس هنـــاك في الآفـــاقِ واعِ

نـــشاهدها بمحنتهـــا ونمـــضي

تظـــلُّ وحيـــدةً مـــن دونِ راعِ

ونـــشبع في منازلنـــا زيوتًـــا

ونتركهـــا تمـــوت مـــع الجيـــاعِ

ونـــسمعها تـــئنُّ ولا نبـــالي

فـــنحن منزَّهـــون عـــن الـــسَّماعِ

ويحتـــار الطَّبيـــب عـــلى دواءٍ

فلـــيس هنـــاك طـــبٌّ دون بـــاعِ

ولـيسَ هنـاكَ معتـصمٌ بقـومي

ولا حتَّـى إلى الخـيراتِ سـاعِ

ولا رجـل عظـيم القـدر يـأتي

يمـدُّ لهـا يديـه مـن الـذِّراعِ

فـلا غـوث وقـد صـاحت تنـادي

ولـيس هنـاك مـن يـأتي كـداعِ

حفيـفٌ حولنـا في كـلِّ أرضٍ

يـصدِّرُ مـا تـراهُ مـن الأفـاعي

أضـاعوها بـداءٍ ظـلَّ يـسري

ويهتِـكُ جـسمها أثـرُ الـصُّداعِ

وتلـكَ عروسُـنا ماتـت بغـدرٍ

أقـامَ عزاءَهـا أهـل الخـداعِ

أراهُ الـنَّعشَ في وَطَنـي مُـسجَّى

لأشرَفِ بلـدةٍ حتـى النُّخـاعِ

يبـــاعُ حَنوطُهـــا في كـــلِّ وقـــتٍ

مـــن التُّجـــارِ إخـــوانُ الـــسِّباعِ

وقـــد كـــالُوا محاســـنها بليـــلٍ

وبعثـــرَ مَجـــدُها مـــع كـــلِّ صـــاعِ

ولم يـــأتوا لنجـــدتها بفجـــرٍ

وفاضـــت روحهـــا بعـــد انتـــزاعِ

وبـــات الكـــلُّ مـــتَّهم بعَينـــي

وضـــاع دم الـــضَّحية في المـــشاعِ

وقـــاموا للعـــزاءِ بكـــلِّ حـــيٍّ

فلـــيسَ هنـــاكَ ثـــأرٌ للـــصِّراعِ

فقـــد أفتـــى شـــيوخٌ ذات يـــومٍ

بـــأنَّ الثَّـــأرَ إثـــمٌ دون داعِ

ســـتبقى جثَّـــةً مـــن غـــيرِ قـــبرٍ

تُـــذكِّرُ مـــن أتاهـــا بـــالنِّزاعِ

سـيأتي فـارسُ الفرسـانِ يومًـا

يُقبِّلُهـا فتـنهضُ للـشُّجاعِ

عـلى فـرسٍ سـيأتيها فَتاهـا

يُـدلِّلها ويُـسكِت كـلَّ نـاعِ

يعيـدُ لهـا الحيـاةَ إلى صـباها

ويحـضِنها لتزهُـوَ في القـلاعِ

يقبِّلهـا يعانقهـا فيـشفي

جـراح الأرض مـن أثـر الـضَّياعِ

يقبِّلهـا حبيبتـه فيُحيـي

مروجًـا مـن سـهول أو يفـاعِ

يبـثُّ بأرضِـها مـن كـلِّ شيءٍ

يعيـدُ العـزَّ حتَّـى في المتـاعِ

يفـيضُ الخـيرُ بـين يديـه يجـري

كـماءٍ فـاضَ مـن عنـد الـتِّلاعِ

سينـــــسيها مرارتهـــــا بيـــــومٍ

ويكـــشف كـــلَّ وجـــهٍ أو قنـــاعِ

يطـــوف حنانـــه في كـــلِّ ركـــنٍ

يـــدلِّلها فـــذاك مـــن المطـــاعِ

ينزِّههـــا فلـــن تحيـــا بيـــومٍ

كـــثكلى مـــن فـــراق أو وداعِ

يغازلهـــا فتـــى الفتيـــان يـــأتي

لتحيـــا في الفـــؤاد مـــع الـــضّياعِ

تعـــود منـــارة إن شـــاء ربِّي

لترشـــدنا بنـــور أو شـــعاعِ

فـــذاك أميرهـــا والقـــدس تـــدعو

ضـيوف العـرس مـن أهـل الـدِّفاعِ

وتلـــك روايـــة للـــدَّهر تبقـــى

عـــلى الجـــدران تكتـــب بـــاليراعِ

آخر صورة لمولاتي

وقفتُ في القدسِ من قلبي أُناجيها

فـالخيرُ فيهـا قـضاءٌ مِنـه باريهـا

دارُ الـسَّلامِ وفيهـا أرضُ مَحـشَرنا

كـــذاك منـــشَرُنا واللهُ راعيهـــا

حيـثُ النَّبيُّـونَ مَـرَّوا أو بِهـا نَـشَأوا

والـصَّالحونُ وذكـراهم يُزكِّيهـا

قد باركت كـلّ أرضِ الـشَّامِ قاطبـةً

فالفـضلُ قـد جـاءَ مـن ربّي يُوافيهـا

حبِّـي لهـا وحنينـي في أزقَّتهـا

في كـلِّ طلعـة شـمسٍ كنـتُ آتيهـا

قلبـي يَفـيضُ بأشـواقٍ تحـنُّ لهـا

تطـوفُ في كـلِّ ركـنٍ مـن أراضـيها

أَحببتُهـــا درّةً في العـــين خالـــدةً

وفي الفـــؤادِ لهـــا ركـــنٌ يُحابيهـــا

ســـتُّ المـــدائنِ لا تَخفـــى مكانتهـــا

حيـــثُ المعـــالمُ والآثـــارُ تُثريهـــا

عَـــشقتُها بَلَـــدي عـــشقًا يُميِّزهـــا

عـــن المـــدائنِ في العليـــاءِ يُـــسميها

دنـــوتُ منهـــا أُحيِّيهـــا بكربتهـــا

فـالرُّوحُ فيهـا وذكـرى مـن لياليهـا

ناديتُ يا أرضَ أجـدادي وموطنهـا

أبـدو غَريبًـا وَجـدّي لم يَكُـن فيهـا

المقدســـيُّونَ آبـــائي هُنـــا سَـــكَنوا

عاشوا وماتوا وكـانوا مـن أهاليهـا

وُلِدْتُ فيها وما زالت تُرَضّعني

فكيفَ تُنكِرُني فيها مبانيها

مكثتُ أقرأُ أحداثًا بدفترها

فلم أجدْ خَبَرًا قد خطَّ يُرضيها

وجئتُ أسألُ أهلي في شَوارِعِها

عن الوفودِ أصاروا من مَواليها

أَضحى بها اليوم أحياءٌ وتُنكرني

فيها غريبٌ ومنذ الأمسِ واليها

مَشيتُ أَبحَثُ عن شيءٍ يُعرِّفُني

أَمشي وأَسأَلُ من روحي أُناديها

كأنَّ أحجارَها سوداء تجهلُني

أسماءُ حاراتِها ضاعت مَعانيها

كانت بيوتٌ هنا في الحيّ تَعرفُني

حتَّى أتاها عدوٌ جاء يَسبيها

أسـيرُ أنظُـرُ مـا يجـري بِعالَمِهـا

أبكـي المـآذِنَ والأمجـادَ أرثيهـا

أرى وأشـهَدُ تزويـرًا يـشوِّهها

وصـاحبُ الـدَّارِ مـشلولٌ ليفـديها

حتَّـى القبـور لأجـدادي وتـربَتَهم

بحثـتُ عنهـا فتاهـت في فَيافيهـا

فَجِئـتُ أشـجارَ زيتـونٍ أُقبِّلُهـا

ذكـرى مباركـةٌ كانـت بأيـديها

يـا حـسرةً وأَنـا فيهـا أُشـاهدها

قـد أَلبَـسوها ثيابًـا لا تُحلِّيهـا

وجَرَّدوهـا مـن الـدِّيباجِ كِسوتها

تلك العروسُ تُنادي اليومَ كاسيها

ظـلَّ الـرِّداءُ عليهـا لا يُفارقهـا

من يومِ أن جاءَها الفـاروقُ يَلفيها

وعـادَ جـاءَ صَـلاحُ الـدِّينِ يُـسبِلُها

مــن الحريــرِ لباسًــا في حواشــيها

ذاك النَّـسيجُ الـذي سـلَّوهُ دلَّلهـا

فمــن يعيــدُ وشــاحًا أو يُــدفِّيها

تبــدَّلت وَأَنَــا مــا زلــتُ أَحَظُهــا

أهـذه القـدسُ أم هـذي أسـاميها

تغــيَّرَ الاســمُ والتَّــاريخُ مختلــفٌ

حتى اللُّغات التي كانت تناديها

سطوا عليها فصارت من مَدائِنهم

وبــدَّلوا مــا أرادوا في نواحيهــا

تبــدو مــشوَّهةً مــن غــيرِ زينَتِهــا

ضاعت جواهِرُ ظلَّ الشَّرقُ يُهديها

عــاثوا فَــسادًا بآثــارٍ مكرَّمــةٍ

من عهدِ مروانَ إرثٌ ظلَّ يَرويها

قد أخلصوا من تَولَّوا أمر خِدمَتها

حتَّى أَتاها بهذا العصرِ يُؤذيها

تعاهَدوها وكانوا كلّهم خدمًا

في كلِّ شبرٍ أقاموا عزَّ ماضيها

مضوا وما زالَ ذِكرهمُ يُداعِبُنا

فهل يَعودوا عَسى ربّي يُنجِّيها

كانت تُنيرُ بلادي قبلَ وعكَتِها

مشارفَ الأرضِ بالأنوارِ تَطويها

أين المدارسُ ذات الصِّيتِ نَفقِدُها

كانت تكايا وكانَ الوقفُ يُزهيها

كانت وفودٌ من الحجَّاجِ تَعمُرُها

وبالمواسِمِ تَأتِيها فَتُعليها

تبدو هنالِكَ قد جَفَّت مَنابِعُها

وبالأزقَّةِ أطيافٌ تُناجيها

استسلمتْ بعد أن نادت أحبّتها

فلم يُجيبوا وعادَ الصَّوت يُوهيها

لحَّت عَليهِم بأن يَأتوا لنجدَتِها

والصَّوتُ يَصدحُ آلامًا تُعانيها

لم يسمَعوها وإن نادت لِتُسمِعهم

آهاتُ أشرَفِ بنيانٍ بِواديها

مع أنّها أسمَعت أثناءَ مِحنَتِها

وأشهدت كلَّ حيٍّ عن مَآسيها

نسوا وغابت مع الأيَّامِ بسمَلَةٌ

تبارِكُ القدسَ والأكنافَ تُزكيها

وأبدَلوها فتاوى الذِّكرِ أغنيةً

وغيِّبت بَلَدي لا شيخ يَفتيها

الجهدُ يبدو عَليها في مَلامِحِها

والضَّعفُ يزدادُ حتَّى في نَواصيها

والمـرُّ تـشربُه مـن كـلِّ ناحيـةٍ

والطَّعـمُ مـن حلقِهـا حتَّـى تراقيهـا

بنـتُ المَكـارِمِ كـانَ الكـلُّ يَطلُبهـا

فكيـفَ لا أحـدٌ الآن يَبغيهـا

وهـل سَتـصبِرُ والأوسـاخُ تملؤهـا

ولـيسَ يوجـدُ مـاءٌ كـي يُنقِّيهـا

تَبكـي وتـصرخُ والأوجـاعُ تَقتُلهـا

فكيـفَ تمـسي بـلادٌ مـاتَ آسـيها

وكيفَ تـصبِحُ والأغـلالُ تَعـصرُها

واليـتمُ يُقلِقُهـا والكـلُّ ناسـيها

سـورٌ هنالـك أَمـسى مـن معالِمِهـا

والأهلُ خلـفَ جـدارٍ كيـفَ تأتيهـا

كـل الحـواجِزِ عنـد الـسُّورِ مؤذيـةٌ

أكنافُهـا حُجِبـت كـي لا تُوافيهـا

الـسُّورُ لـيس "سـليماني" يُجمِّلهـا

لكنّـــهُ عمـــلٌ رجـــسٌ لِغازيهـــا

إنّي لأبـصرُ حـبلاً حـولَ مِعـصَمِها

يَجرُّهـــا في طريـــقٍ لا يُواتيهـــا

ذاك الـــسَّبيلُ أرادوهـــا لتـــسلكهُ

مـن بعـدِ أن عُزِلـت عنهـا غواديهـا

تلـك الكـوارِثُ باتـت لا تفارقهـا

تـــأتي فتوجِـــعُ أو تبقـــى فتؤذيهـــا

عمّـــت كـــذلِكَ أمـــراضٌ مـــؤثّرةٌ

منهـــا العـــضالُ ولا شيءٌ يـــداويها

هـــذا وبـــاءٌ تفـــشَّى في خَواصِرهـــا

في كـــلِّ ثانيـــةٍ يـــزدادُ يُـــشقيها

أيـن الأطبَّـاءُ مـن وصـفٍ يُعالجهـا

أَوكَّلـــوا أمرَهـــا للهِ يَـــشفيها

شـــاءت مَـــشيئَتهُ تميـــزُ مـــن فيهـــا

فتلـكَ حِكمَتُـهُ في الخلـقِ تُحـصيها

القـدسُ تفحَـصُ صـدقًا في مُجيبيهـا

واللهُ يَفتـــــتنُ العبَّـــــادَ يَجزيهـــــا

هـل يـترَكُ القـولُ آمنًـا بـلا محَـنٍ

الكـــلُّ ممـــتحنٌ ربِّي يُـــصفِّيها

لهفـي عـلى المسجدِ الأقـصى وقبَّتِـهِ

مـا زالَ يمـسَحُ شـيئًا عـن مآقيهـا

هنـــاكَ يُؤنِـــسُها في ظِـــلِّ غُربَتِهـــا

يخـالُ يـشكُو لـربّي مـن سيعـصيها

أراهُ مـــنفعلاً للقـــدسِ منتفـــضًا

فهـل ينـالُ مـن الأحـداثِ تـشويـها

لهفـــي عليـــهِ وأنفـــاقٌ بأســـفلهِ

حتَّـى تُقوضُـهُ مُـذ غـابَ حاميهـا

في البـابِ حاجِبُـهُ لـصٌّ ويُبغـضهُ

فـلا زيـوت لِتُهـدى أو تُواسـيها

أتيـتُ أبكـي عـلى أرضٍ نُقدِّسُـها

أيـن الجميـعُ أليـسوا مـن مُحبِّيهـا

أهـلي وقـومي بهـا بـضعٌ تؤازرهـا

لا حيلـةٌ مـرضٌ مـا انفـكَّ يُـدميها

إقامـــةٌ مَعَهـــم تَـــصريحُهم فيهـــا

إن شـاءَ سـيُّدُها بـالأمر يُلغيهـا

أبيـتُ والـدَّمعُ مِـلء الخـدِّ أَذكُرهـا

أبكـي بـلادي وأبكـي كـلَّ مـا فيهـا

كـلُّ الفـضائِلِ بتنـا اليـومَ نفقـدُها

فـــلا مُـــروءَةَ أو شيء يُعزِّيهـــا

ولـيسَ يوجـدُ بـين النَّـاسِ مُعتـصمٌ

ولا شَـبيهٌ سـوى طيـفٍ يُلهِّيهـا

حيث المكارِمُ في الجيناتِ قد نزعتْ

فــلا تُــورَّثُ في نــسلٍ فيأتيهــا

ضــاعت كَــذلِكَ أمجــادٌ مُؤصَّــلَةٌ

كانت تُغيثُ من الأوجاعِ تحميها

يُحكَى ولا شيء في الآفاقِ يُؤنِسُها

إلا العويــل وأشــباح تناديهــا

ماتــت محاسِــنُ أخــلاقٍ بأمَّتِنــا

وشُــيِّعت دونَ أن تَــدري أهاليهــا

كانــت بيــومٍ مــن الأيَّــامِ موعظــةً

في أرضِ أنــدلسٍ ذكــرى لنرويهــا

واليوم إنَّا لنبكي القدسَ تُوحشنا

لم ندرِك الدَّرسَ حتَّى جاءَ ناعيها

يــا ربّ مــسجِدِها يبقــى منارتهــا

وكــفَّ بأسًــا أتــى مــولايَ أكفيهــا

إن شئت تفحَصُنا يا ربّ فارحمنا

تــوفَّني سَــيِّدي كــي لا تُرينيهــا

خذوا ثَرى بَلَدي خَبّوا بهِ جَسَدي

لِعَلَّــهُ جَــدَثي يبقــى يُحَيِّيهــا

إنّي أُريــــدُ لأرضي أن تُــــسامِحَني

فلستُ أملِك غير الدَّمعِ أُعطيها

عسى جدودِيَ إن جاورت مدفنهم

لا يَسألونِيَ عــن وضــعٍ فَأبكيهــا

مازلتُ أرجو لأرض القدس مفترجًا

يــأتي قريبًــا يُعِيــدُ الــدَّارَ يُحْييهــا

يعيدُ ما كانَ من أصلٍ ومن حجرٍ

ويغــسِلُ القبَّــةَ الــصَّفراءَ يُجليهــا

يا قدسُ يا لوحة في مرسمٍ ويُرى

جَمالُها ظاهرًا في أروعِ الصُّورِ

كأنها أجملُ اللَّوحاتِ في معرضِ

الإبداعِ للهِ والتَّاريخِ والقدرِ

يا قدسُ يا أجمل الألوانِ في دفترٍ

للكونِ قد لُوّنت في أبدعِ النَّضرِ

رسمٌ على أجودِ الأوراقِ في متحفٍ

للفنِّ ما زالَ يُغري حاسَّةَ النَّظرِ

يا تُحفة نُحِتت من صُنعِ خالِقنا

وجاءَ زَيَّنها الإنسانُ بالدُّررِ

منحوتــة الــدَّهر لا شيء يماثلهــا

في أرضــها قطــع للفــنِّ والأثــرِ

يــا رقعــةٌ وضِـعت في قلــبِ عالمنــا

لا شيءَ يُــشبهها في دولــةِ الحــضرِ

كــوردةٍ زُرعــت في مــرجِ تربتنــا

فَصنِّفت فوقَ كلِّ الزَّهرِ والشَّجرِ

لهــا أريــج عــلى الــدُّنيا يعطِّرهــا

يــشتمُّه كــلُّ مــن في الــبرِّ والبحــرِ

لــون جديــد عليهــا كــي يميِّزهــا

قد خصَّها دون كلِّ الأرض بالأغرِ

ثــوبٌ جليــلٌ كــساها منــذ نــشأتها

حتَّى غدت حلوةً في الوصف والسِّيرِ

يــا درّة رُصِّــعت في عِقــدِ كوكبنــا

فالمــاسُ يغبطُهــا أو لؤلــؤ الحجــرِ

تلك الجواهرُ ما زالت تُرصِّعها

فالقدسُ أيقونةٌ في متحفِ البصرِ

يا قدس يا غرَّة التَّاريخ ناصعة

كدرَّة في جبين الأرض والدَّهرِ

معزوفةٌ طَربت منها مَجرَّتُنا

لأنَّها خَرجت من أَنفسِ الوترِ

يا قصَّة كتبت من وحي مبدعها

تجود بالنصِّ والأشعار والعبرِ

يا شعلة النُّور للأجيال قاطبةً

جاءت تنير سبيل الرُّشد للبشرِ

نجمٌ على أرضنا مستبشرٌ غدَنا

يعيدُ للأرضِ ضوءَ الشَّمسِ كالقمرِ

النُّورُ منها أتى أرضًا مُعظَّمة

كادت تُزيلُ ظلام اللَّيلِ كالسّحرِ

نحـو الـسَّماءِ طريـق كـان مختـصرًا

بوَّابــة فتحــت في الأرض للَّــسفرِ

الآن يَنقُـــــصها شيءٌ يُـــــدلِّلها

يــأتي يلاطفهــا لــو عــادَ بــالمطرِ

يــأتي يــرمِّم لوحــات ويحفظهــا

يرعى الفنون ويحميها من الضَّررِ

يـصون إرثًـا مـن التَّـاريخ يملؤهـا

يحمي البلاد ويرعاها من الضَّجرِ

يكـفُّ مـن قـام يؤذيهـا يـشوِّهها

أو جـاء يملؤهـا بالـشَّوك والحفـرِ

عـسى العروبـة أن تـأتي تُـساندها

تـأتي الأحبُّـةُ تحميهـا مـن الخطـرِ

تظـلُّ القـدسُ للعـربِ ... بـرغمِ الجـورِ والخلـلِ
ورغـمِ الـدَّاءِ والأعـداءِ ... تزهـو القـدسُ كالجبـلِ
بَكيـتُ أنـا عـلى بَلَـدي ... بكـاءً دامَ مـن أزلِ
لأُجـري في شَـوارِعها ... دمـوعَ العـينِ والمُقَـلِ
وهـل أَحمـي مَعالِمهـا ... بآهـاتٍ مـن البلـلِ
بغـيرِ عـصا مُغلَّظَـةٍ ... بكـفِّ يـدٍ عـلى البَطَـلِ
بأنـسِجةٍ وبعـضِ دمٍ ... تُطهِّرُهـا مـن السّفَلِ
عـروسٌ خَـدُّها الأحـلى ... وكانـت مـضرِبَ المثـلِ
يظـلُّ شَـبابها الأغـلى ... يُـذيبُ العقـلَ في الرَّجـلِ
لهـا طعـمٌ يُـشابِهُ ... مـذاقٌ كـان في العـسلِ

فمـــن يـــأتي يُـــدلِّلُها ... ويحميهـــا مـــن الزَّلـــلِ

أتـــصبِرُ في مَـــضارِبِها ... عـــلى الغلـــمانِ والهمـــلِ

عـــلى دهـــرٍ يُقلِّبُهـــا ... عـــلى الأوجـــاعِ والحيـــلِ

عـــلى نحـــسٍ يُعانِقُهـــا ... ويـــدنيها مـــن الأجـــلِ

أتـــضربُ في تَحمُّلِهـــا ... مثـــالَ الـــصَّبرِ في الجمـــلِ

ســـيأتي مـــن يُنظِّفُهـــا ... ويرسِـــلُ فـــسحة الأمـــلِ

يـــصبُ المـــاءَ يَغـــسِلُها ... ويلبِـــسُها مـــن الحُلَـــلِ

يُقبِّلهـــا يُعانُقهـــا ... عنـــاقَ الأمِّ للطِّفـــلِ

يطبِّبهـــا يـــداويها ... ويـــشفيها مـــن العلـــلِ

يكفكـــفُ دَمعهـــا يـــأتي ... بـــلا كلـــلٍ ولا ملـــلِ

ســـيأتي مـــن يلاطفهـــا ... ويحكيهـــا مـــن الغـــزلِ

وينـــشدُ مـــا يُـــسلِّيها ... مـــن الأشـــعارِ والزَّجـــلِ

وينـــسيها مرارَتَهـــا ... مـــن الخـــذلانِ والكـــسلِ

يعيـــدُ لَهـــا أَناقَتَهـــا ... إلى أيَّامِهـــا الأُولِ

يـــــردُ لهـــــا طَهارَتهـــــا كمـــشكاةٍ مـــن الرُّســـلِ

يـــسوقُ لهـــا هَـــداياها مـــن القطعـــانِ والإبـــلِ

يـــصونُ لنـــا مَعابِـــدها ومـــا فيهـــا مـــن النُّـــزِلِ

فـأرضُ القـدسِ للعـربِ ختـــامُ القـــولِ والعمـــلِ

آخر صورة للمسجد الأقصى

شُـدُّوا الرِّحـالَ إلى الأقـصى نودِّعـه

مــاتَ المُظفَّــرُ والــسُّلطانُ نفقــدُه

والنَّاسُ في سِنةٍ طابت مَضاجِعُها

يــا وَيــلَ مــوقِظهم إن جــاءَ سـيّدُه

ناموا وأهزوجة للقدس من زمنٍ

تُــصَدّعُ الحجــرَ المــصقولَ تنقــدُه

نــاموا كطفــلٍ عــلى صــوتٍ يداعبــه

مــا زال مَـسجِدُها الأقـصى يـردّدُه

غنَّـــى وكـــررَ آلامًـــا ولحّنهـــا

عــلى مــسامع نعــسان وينــشِدُه

قيلولــةٌ في قُــصورٍ بــادَ عامرُهــا

هــل دامَ عــزٌّ لكــي نــأتي نُقلِّــدُه

أم جاءَ شخصٌ لأرضِ اللهِ يَعمُرها

والمــوت مــا عــاد يأتيــهِ يواعــدُه

هــل ظــلَّ يحيــا ســعيدًا في مفاتنــه

أم مُلِّــكَ القــصرَ في صــكٍّ يُخلِّــدُه

شــدُّوا إلى المسجدِ الأقصى نُعظِّمه

نقــدِّسُ الأرضَ نــدعو الله نَحمــدُه

بُشرى الرَّسـول لأحبـاب مرابطـة

تغدو إلى المسجد الأقصى وتعهـدُه

في كــلِّ عــامٍ يكــادُ الــذِّئبُ يأكلــه

أرخــى هُنالــك أفخاخًــا تــصيّدُه

الآن يمــسكه مــن كــلِّ ناحيــةٍ

بــل مُــدّت اليــوم في أحــشائِهِ يَــدُه

تــزدادُ قبــضتُه في كــلِّ ثانيــة

واســتلَّ خِنجــرهُ حتــى يــسدّدُه

فكيـف يـصمدُ مـع ذئـبٍ يُطـاردُه

يـردُّ إن شـاءَ مـن يـأتي ويقـصدُه

يحمــي بكفّيــهِ والأنيــابُ تُؤلِمُــه

والـوحشُ ينـهشُ كـي يـأتي يهـوّدُه

مَعــهُ بَنــوه مــن الغربــانِ تنقــضهُ

الأمــرُ في يَـدِه قـد بـاتَ يَرصـدُه

يُـرى وحيـدًا بـلا كـفٍّ يلاطفـهُ

وفي المحاريــب أشــباحٌ تــراودُه

هبّــوا إلى المــسجدِ الأقــصى وقبّتــهِ

لعلّــه الــذّئبُ يُرْضِــينا فنــشهدُه

ألقــوا الــسَّلامَ بــأبوابٍ وأقبيــةٍ

وعــدوا بخــير لمــن يــأتي يــشيّدُه

وعظَّمـــوا الله في أرجـــاءِ فـــسحتهِ

وفي اللّـــواوينِ أســـوارٌ تحـــدّدُه

صـــلُّوا هنـــاك بـــساحاتٍ مـــشرَّفَةٍ

وَعظِّموهـــا وكونـــوا مـــن يـــساندُه

كـــلُّ الأمـــاكِنِ لا فـــرقٌ مقدّســـةٌ

في باحـــةٍ أو بنـــاءٍ كـــانَ مـــسجدُه

نادوا عليه وصيحوا صوبَ قِبلته

ولامـــسوهُ فأيـــديكم تُـــساعدُه

وقبّلـــوا فيـــه محرابًـــا وأســـبلةً

مـــصلّياتٍ وأشـــجارٍ تمجّـــدُه

حيّـوا القبـابَ وحيّـوا كـلَّ أروِقَتـه

والزّخرفـــاتُ تُحلّيهـــا معابـــدُه

زوروا مـــآذنَ تعلـــو فيـــهِ شـــامخةً

ظلّـــت قرونًـــا بـــذكر الله تعـــضدُه

نـأتي وننظُـرُ مـا يحـوي نعظّمـهُ

ونـذكرُ المجـدَ عـزًّا كـانَ يُـسعدُه

ونـذرِفُ الـدّمعَ في أرض مباركـةٍ

عـلى أيـادي هنـا كانـت تُـوادُه

تفقّـــدوا فيـــه محرابًـــا بقِبلتـــهِ

جـاءَ الرَّسـولُ لـهُ يومًـا يُخلّـدُه

خـذوا ترابًـا مـن السَّاحات تـذكرةً

لترجعـــوه إذا مـــا جـــاء منجـــدُه

تعاهـــدوه أمانـــات مقدَّســـةً

وخبّئـوه ووصُّـوا مـن يعاهـدُه

مـاذا أقـول وهـذا الوضـع ملتهـبٌ

يحتـــاج غوثًـــا ليأتيـــه فينجـــدُه

لكـــنّ أمّتـــه تلهـــوا بـــلا كلـــلٍ

تَـــصنَّعت صـــممًا ممّـــا يُهـــدّدُه

تـراهُ ينـزفُ قـد ضـاعت كرامتُـهُ

ولا مغيـث بـأفقِ اللّيـلِ يُرشـدُه

يـا أمَّـة رَضِـيت بالـذُّلِ تـشربهُ

تُسقى مـن القهـرِ أقـداحًا وترفـدُه

تقاذفتهـا شـعوبٌ لا ضـمير لهـا

وأبـــدلت عزَّهـــا ذلاً تُجـــدّدُه

تكالبـت أمـمٌ في سـعيها خُبـثٌ

صـارت لهـم تَبَعًـا والأمـرُ تـسندُه

هـذي المهانَـةُ مـا عـادت تُفارِقُهـا

تـأتي كزائـرةٍ والمجـدُ تطـردُه

مـع أنَّ خالِقَهـا قـد كـانَ فـضَّلها

والـذّكرُ مـا زال خـيراتٍ تجـوّدُه

بـالله يـا قـدسُ كـم عانيـتِ مـن ألمٍ

مـن القريـبِ وكـانَ الفعـلُ يَقـصدُه

قـولي لمؤذيـك إنّ الحـشر موعـدهُ

في أسفَلِ النَّـار يـشقى مـن سَـيرفدُه

هـذي الـبلادُ بهـا فـضلٌ نقدّسـهُ

حتّـى المقـصّرَ يلقـى مـا يكابـدُه

الكـلُّ آتٍ بـأرض القـدس منفـردًا

حيًّـا سيحـشرُ فيهـا هـل سـتجحدُه

أَتخـذلُ القـدسُ مـن حـيٍّ ويتركهـا

حتّى إذا مات جاءَ القـدس تـشهدُه

وهـل يظـنُّ بـأنَّ العفـو يدركـهُ

في تربـة وقفـت يومًـا تُـراودُه

فلـم يُجبهـا ولا يـسعَى لنـصرتِها

فكيـفَ تـسقيه مـاءً أو تـورّدُه

الحوضُ والخيرُ يوم الحشرِ موعدها

فمن سيسقى ومن لـو جـاءَ تطـردُه

فاحرصْ على عملٍ في أرضِ محشرنا

يُعلي المقام إذا ما جاءَ موعدُه

تعالَ وامسحْ دموعًا عن مَساجدها

وكنْ أمينًا على غرسٍ ستحصدُه

عسى الغراسُ تجدهُ قبل منشرنا

ظلاً يردُّ عذابًا أو يُبرّدُه

كــلُّ المــدائنِ إلا القــدسَ زاهيــةٌ

تزهــو بنــورٍ مــع التَّــاريخِ يختــالُ

تلـك الـبلادُ عـلى تاريخهـا نهـضتْ

لكــنّ في القــدسِ تــاريخٌ ويُغتــالُ

كــلُّ الــبلادِ كــساها ثــوب عزَّتِهــا

والثّوبُ في القدس منسولٌ كذا الشّالُ

جــارَ الزّمــانُ فهــذا مــا يحــاكُ لهــا

فــوقَ الــتُّرابِ سَرابٌ هكـذا الحـالُ

تلـك القــرونُ تراهــا في شَــوارِعها

كــذِّبْ عُيونَــكَ فالعينــانِ تحتــالُ

لا شيءَ ممّـا تَـرى يُزكـي مَكانتهـا

تلك التَّخاريفُ تُنسى اليـوم تنهـالُ

هـذي الحقيقـةُ تبـدو في ملامحهـا

حيـثُ المعـالمُ فيهـا اليـوم إهمـالُ

الآن يهمـــلُ بنيـــانٌ بتربتهـــا

فللحـــضارة والتَّـــاريخ آجـــالُ

الدَّهرُ ما عادَ منذ الأمسِ صاحبها

فـاليوم تُنـسى مَبانيهـا وأوصـالُ

تُبَـدّلُ اليـوم أحجـارٌ بعالمهـا

قـد كـان يـصنعُها جـدّي وأبطـالُ

لـيس المهـمّ إذا زالـت فتربتهـا

تخفـي لآلـئ منهـا سـوف تنـشالُ

تحـتَ الـتّرابِ لهـا أصـلٌ يُـشرِّفُها

أو هكـذا زَعَمـوا للنَّـاس قـد قـالوا

لن يعُرَفَ المجدُ فيها منذُ وعكتِها

إلا إذا دفــعَ الأعــرابَ ترحــالُ

والمجدُ ظلَّ من الأعرابِ يَسكنها

على العصورِ لهم ذكرى وأعمالُ

أَتى على بَلَدي كربٌ يُحاصرُها

فليس يوجدُ فرسان وأشبالُ

ولا سيوف سوى ما كان من خشبٍ

أو لعبةٍ فيها الرِّماحُ ضلالُ

ولا شجاع ولا شخص نقدّرهُ

يُنيرُ فيها لعلَّ النُّورَ فعّالُ

تبدّلت وأنا بالكادِ أعرفها

العزُّ مهترئٌ والذُّلُّ سربالُ

حتّى يُبعثرَ ما فيها على عجلٍ

والنّاسُ تَنسى بأنّ القدسَ آمالُ

كانــت إذا قُورِنــت في أيّ منطقــةٍ

إلا وفـازت عـلى المفـضالِ مفـضالُ

ما أسهل الغـشّ والطُّغيـان في زَمَـنٍ

يُخفـي الحقيقـةَ والتَّـدليسُ يكتـالُ

هنــاك مــن زوّرَ التّــاريخَ منتبــهٌ

يخـطّ مـا شـاء إن الـزُّورَ أشـكالُ

إنّ الحقيقَــةَ لا تَخفــى عــلى أَحَــدٍ

فالقدسُ تبقى وما للقدسِ أمثالُ

الأصــلُ مــا زالَ محفــورًا بتربتهــا

لا شيء يُذهِبــهُ فــالجورُ قتّــالُ

والقـدسُ تبقـى عـلى دهـرٍ وأزمنـةٍ

البغـيُ يـذهبُ والآثـامُ إن زالـوا

تلــكَ الــبلادُ تُنادينــا لــصحبتها

حتّــى نَــصونَ مبانيهــا فتختــالُ

سلام القدس للعرب

سـلامُ القـدسِ للعـربِ سـلامُ الـرّوحِ للجـسدِ
سـلامٌ في الثّـرى المـشتاقِ للأمطـارِ والـبَرَدِ
سـلامُ القلـبِ للأعـضاءِ مـن عـينٍ ومـن كَبِـدِ
فـذاك الكَبْـدُ منفطـرٌ مـن الأخبـارِ والنّكـدِ
وتلـك العـينُ باكيـةٌ عـلى وطنـي ومعتمـدي
عـلى بلـدٍ نقدّسـهُ أُصـيبَ اليـوم بالحـسدِ
عـلى إرثٍ ورثنـاه مـن الآبـاءِ للولـدِ
عـلى عـضو سَـيبتَرُ لـو تركنـاهُ مـن الوتـدِ
سـلامُ القـدسِ للعـربِ لـساعٍ أو لمجتهـدِ
سـلامُ الـشّمس للـدّنيا متـى جـاءت عـلى الوعـدِ

سـلامُ الأرضِ للأحـرارِ مـن جـيشٍ ومـن مـددِ

سـلامٌ جـاءَ مـن وطنـي مـن الآثـارِ والعهـدِ

إلى الأحبـابِ قاطبـةً سـلامٌ مـن رُبـى بلـدي

إلى بـابٍ طرقنـاهُ ولـيسَ هنـاك مـن أحـدِ

سـلامُ الشّوقِ للأبطـالِ دارَ اليـومَ في خَلَـدي

سـلامٌ مـن ربـوعِ القـدسِ للإخـوانِ والسّندِ

لمـن يـأتي يُخلِّصُها مـن الأوجـاعِ والكمـدِ

لمـن يـأتي يُقبِّلُهـا وحيـدًا أو مـع العـددِ

يحـرّر أرضـها يـأتي يـصولُ كـصولة الأسـدِ

سـلامٌ دولـة الأخيـارِ مـن قـبلي ومـن بعـدي

سـلامُ القـدسِ يـشبهُ سـلامُ الأمِّ للولـدِ

بكـاءٌ كـان في الأحـشاءِ مـن ضـيقٍ لـذات يـدِ

سـلامٌ جـاءَ للإنـسانِ كـي يحيـا إلى الأبـدِ

سـلامٌ أمـةَ المختـارِ مـن دينـي ومعتقـدي

سـلامُ المـاء للظّمـآنِ للأشـجارِ والـوردِ

تحيـاتٌ وأشـواقٌ لجنـدِ الله مـن بَلَـدي

لأهـلي أو إلى نـسبي سـلامات بمـستندي

بعثـت اليـوم مـن قلبـي تحيـاتي إلى سـندي

بـرغم الطَّـوق والأغـلالِ رغـم القيـد والـزّردِ

نـداء جـاء في أدبي عـلى أهـلي عـلى ولـدي

سـلام مـن ربـوع القـدسِ يـسري الآن في جلـدي

مـن الأبـواب والأسـوارِ والتّـاريخ والأمـدِ

سـلامُ مُرتّـل القـرآنِ في الأقـصى وفي بلـدي

أجمل الهوى

إنَّنَـــي أهـــوى بِـــلادي والهَـــوى

صـــارَ جـــزءًا مـــن كيـــاني مُفعَـــما

واضـــحٌ في حـــبِّ أوطـــاني أنـــا

كـــلُّ شـــبرٍ كـــانَ فيهـــا قـــد ســـما

مـــوطني أهـــواهُ في قلبـــي رَبـــا

كـــانَ في صـــوتي كلامًـــا مُفهِـــما

لـــستُ إلا بـــضعة مـــن نفحـــةٍ

مـــن ثـــراهُ قـــد ســـقاها قِـــيَما

هـــذه الأيّـــامُ تمـــضي بيننـــا

حبّـــهُ ازدادَ في قلبـــي نَـــما

كُلّــما غــادرتُ نــاداني الثّــرى

كــي أعــودَ الآنَ أســقيه الــدِّما

كنــتُ زرعًــا في بــساتين المُنــى

أشربُ الأخــلاقَ منهــا شِــيما

فــاح عطــرُ الــوردِ في بــستانهِ

يمــلأُ الأرجــاءَ يُعطــي هِمَــما

عــشتُ فيــه بــل وأعطــاني الهنــا

قــد قطفــتُ المجــدَ منــهُ كَرَمــا

كــلُّ ذاك العــزِّ مــن أشــجارهِ

كــان غرسًــا مــن جــدودي سُــلِّما

طيفــــهُ ازدانَ في عينــــي أرى

نــورَهُ أمــسى يُــضيء العالمــا

ظــلَّ فيــه الحــسن في طــول المــدى

لم يــــزدهُ العمــــرُ إلا مغــــنما

يـا فـوادي حـبُّ أوطـاني عـلا

لم يعـــد سرًّا ويبـــدو مُـــبهما

كيــفَ لا أحيــا وفي قلبــي أنــا

مــا يــزالُ الحــبُّ يمــشي قُــدما

يـا بـلادي أنــت مـا زلــتِ لنـا

في عيــوني قــد بلغــتِ القمــما

لم تــزل في الأرضِ أصــلاً بــاهرًا

في ســماها العــزُ يغــدو عَلــما

جــاءَ ذاك العــزُّ يــسري نحوهــا

قبّــلَ الأرجــاء فيهــا سَــلَّما

فوقهــا في كــلِّ شــبرٍ قــصّةٌ

في ثراهــا المجــدُ يبــدو مُحكَــما

بــانَ حــسنٌ خــالصٌ فيهــا لنــا

مِـن سِـواها الحسنُ أضـحى عَـدَما

جـاءَ طيـفُ النّـورِ يبغـي أَرضَـها

كـــان ضـــوءٌ في ســـماها مُلهَـــما

في اللَّيـــالي لبَّـــت الـــدُّنيا لهـــا

لا تـــزال النَّـــاس تـــأتي أُمَمـــا

مـــوطني مـــا زالَ حبّـــي شـــاهدًا

طـوعُ أمـرِ الأرضِ نحيـا خَـدَما

ظـلَّ يطعمنـي ويـسقيني النَّـدى

إنّنـــي فيـــه ســـأحيا مُـــسلِما

نظـــرةٌ منـــه يـــداوينا بهـــا

طـابَ فيـه العـيش أمـسى حُلـما

يـــا حبيبـــي يـــا مـــلاذًا للهـــوى

لا يـــزالُ القلـــبُ فيـــه تـــيّما

إنّنـــي وثّقـــتُ حبّـــي مُعلنًـــا

مـــرَّه مـــا كـــانَ يومًـــا علقـــما

إنّ فيـــهِ نـــسمةً تُهـــدى لنـــا

عـــاشَ حـــرًّا مـــسكنًا أو حَرَمـــا

يـــا بِـــلادي يـــا مَنـــارات الهُـــدى

كـــلُّ شيءٍ فيـــكِ أَضـــحى مَعلَـــما

درّةٌ في الكـــون قـــد كانـــت لنـــا

منـــذُ بـــدءِ الـــدّهرِ تُعطـــي أنعـــما

أغـــدَقَ الخـــيراتَ يُعطـــي أهلَـــهُ

ظـــلَّ يَرعـــاهم ويرعـــى رَحِمـــا

إنَّ منهـــا كـــلَّ أمـــرٍ رائـــع

كانـــت الخـــيراتُ فيهـــا مَـــنجما

قـــد طربنـــا مـــن عـــصافيرَ بهـــا

جـــاءت الأصـــواتُ منهـــا نغـــما

أحـسنُ العـادات جـاءت مـن هنـا

أحـــسب الأخـــلاق تمـــسي نظـــما

يـا جمـال الكـون يـا أرضي أنـا

أَجمـلُ الألـوان أمـست مرسـما

لا يـزال النّـورُ فيهـا مـاثلاً

قـد أضـاءت مـن ثراهـا أَنجُـما

ليلـةٌ في حـضنِ أوطـاني أنـا

تـذهبُ الهـمَّ وتَـشفي الـسَّقَما

هـذه أرضي سـتبقى ملكنـا

مَـن يـداويها ويـشفي الورمـا

رائـعٌ مـا صـاغ أجـدادي بهـا

حينَ طـابَ المُلكُ في هـذي الحِمى

فـوقَ تِلـكَ الأرضِ عاشـت أمّـةٌ

ثغـرُ عِـزٍّ كـانَ فيهـا باسـما

يومهـا كنّـا منـارات الـدُّجى

كانـت الأعـرابُ تَهـدي العَجَـما

ســـوف نحيـــا في ثراهـــا هاهنـــا

كـــانَ ذاكَ الأمـــرُ منّـــا قَـــسَما

إلى أسرانا البواسل

سَنُرسِـــلُ قُولَنـــا أَدَبـــا ... يُحيّـــي المجـــدَ والنُّخَبـــا
لأسرانـــــا وقـــــدوتنا ... نـــسوقُ الخـــيرَ والـــسُّحبا
لـــسجنٍ ضـــمَّ إخوتنـــا ... نُغلّـــظُ قَولَنـــا غَـــضَبا
بِطـــيّ رِســـالة مَعَهـــا ... تَحيّـــاتي لِمـــن هبَّـــا
أَيـــسجنُ مـــن لهـــم فينـــا ... جميـــلٌ طـــوّقَ العربـــا
أيبقـــوا خلـــفَ مَحبَـــسِهم ... وأرضي كانـــت الـــسَّبَبا
أَيحـــبَسُ مـــن يُطوقنـــا ... بفعـــلٍ لامـــسَ الـــشُّهبا
أولئـــكَ بَعْـــث عزَّتنـــا ... نَعـــيشُ بِفـــضلهم حِقَبـــا
أأذكـــرُ مـــن مـــآثرهم ... فـــضائلَ تمـــلأ الكُتُبـــا
حكايـــا عـــن محاسِـــنهم ... تنـــيرُ الـــضَّوءَ واللَّهبـــا

أولئـــكَ خـــيرُ أنفـــاسٍ ... لجـــسمٍ ظـــلَّ مُنتـــصبا

وكيـــفَ لنـــا نُكـــافِئُهم ... عـــلى مـــا كـــانَ قـــد وهِبـــا

عطايـــا الخـــيرِ مـــن دَمِهـــم ... ومـــن عُمـــرٍ لَهَـــم سُـــلِبا

فللأوطـــــانِ مكرمـــــةٌ ... عليهـــا العمـــرُ قـــد نُحِبـــا

ودهـــرٌ ســـلَّ مـــن جـــسدٍ ... كـــما لـــو ضـــاعَ أو نُهِبـــا

فلـــم يُـــسمعْ لـــهُ حـــسٌّ ... يخـــالُ بأنّـــهُ احتُجِبـــا

لـــــصومعةٍ وأقبيـــــةٍ ... تـــراهُ هنـــاكَ مُنتَـــسِبا

يقـــدِّمُ للعُـــلا زمنًـــا ... تَهـــونُ لأجلـــه الحِقَبـــا

ســـنونٌ كانـــت الأحـــلى ... هـــدايا تَعـــدلُ الـــذَّهَبا

ويُحـــصي مـــا بَقـــى منهـــا ... معـــينٌ كـــانَ قـــد نُـــضِبا

إذا مـــا المـــرءُ خـــاطَبَهم ... يكـــونُ لِـــسانُهم عَـــذبا

لغـــيرِ اللهِ مـــا رَكَعـــوا ... تَـــصيرُ ظهـــورُهم خَـــشَبا

شـــبابٌ ثـــارَ مُنتَفِـــضًا ... وقـــامَ ليركـــب الـــصَّعبا

يغـضُّ الطَّـرفَ عـن حـالٍ ... عـــلى ذلٍّ لـــهُ فَـــأَبى

فقـــدَّمَ مـــا بِجعبَتِـــه ... يزيـــلُ الحـــزنَ والتَّعَبـــا

يـــردُّ أذىً بِمـــضجَعِنا ... ولا يُبقـــي لَنـــا كربـــا

لأنّ بلادنـــا حلَّـــوا ... أقـــامَ هنـــاك مغتِـــصبا

فكنـــتم للعُـــلا سَـــندًا ... بفـــوجٍ كـــانَ مُنتَخبـــا

تخـــيّرتِ الـــسَّماءُ لنـــا ... رجـــالاً يَملكـــوا العَجبـــا

فكيـــفَ لنـــا لِنـــشكُرَهم ... ونُرســـلَ قولَنـــا خطَبـــا

عـــلى وقـــتٍ وأزمنـــةٍ ... تـــذوبُ وتـــشبه الكَـــذِبا

عـــلى فعـــلٍ ومـــأثرةٍ ... وجـــسمٍ شُـــلَّ أو صُـــلِبا

فـــلا شيءٌ يُعوّضـــكم ... ولـــو زِدنـــا لَكـــم حُبّـــا

أأذكـــرُ مَـــن هُـــمُ أهـــلٌ ... ليَرقـــى الاســـمَ والنَّـــسَبا

لوصـــفٍ كـــانَ في دَمهـــم ... وخـــيرٍ كـــان مُنـــسَكبا

نـــردّدُ قولنـــا أمـــلاً ... بـــأن نبقـــى لَكـــم قُربـــا

وخلـــفَ الـــسِّجنِ جـــلادٌ ... ســـجينُ الـــرُّوحِ مـــضطربا

وأنـــتم روحُكـــم تَـــسعى ... إلينـــا تلـــبسُ القَـــصَبا

بنتُ الأرض

قبّلــتُ وجهَــكِ يــا أغــلى مَــدائِننا

يــا درَّةَ الــشَّرقِ لا شيءٌ يُفرّقُنــا

مازِلــتِ أجمَــلَ مَولــودٍ لكوكَبِنــا

مــذ جــاءَ لــلأرضِ أولادٌ تُرافِقُتــا

في متحف الكونِ قد فاضت مَحاسِنُها

عــلى البقــاعِ وجاءتنــا تُعانقنــا

لا نسلَ للأرضِ غير القدسِ يأسرنا

في كــل شــبرٍ هنــا أمــرٌ يُــصادقُنا

تميّــزت بلــدي مــن يــومِ مَولِــدها

فالــدّينُ يخــبرُ والتّــاريخُ يُبرقنــا

والأمُّ تـــشهدُ والأولادُ قاطبـــةً

أن الجـــمالَ بهـــا عـــزٌّ يُؤلّقنـــا

مـا كـانَ يوجـدُ شيءٌ مـن ملامحهـا

في أيّ أرضٍ سـوى فيهـا يُـشوّقنا

الـبرُّ مـا زالَ مفتونًـا بـصحبتها

فالقـدسُ أبـدعها ربّي وخالقُنـا

والبحـرُ يـشتاقُ أن يـأتي يُلامـسها

لكـنْ يخـافُ إذا أرسـى يُـضايُقنا

المجـدُ جـاءَ يُنـادي في أزقّتهـا

والحسنُ يملؤهـا بـل كـادَ يُغرقنـا

بنـتٌ كَجـوهَرَةٍ جـاءت لتُـسعِدَنا

فلـيسَ يوجَـدُ مـن أخـرى تُعلّقنـا

سـتُّ المـدائنِ حـسناءٌ بغرّتِهـا

جـدائلُ الـشَّعرِ تُرخيهـا فتوثقنـا

والجسمُ تحتَ وشاحٍ ظلَّ يَسترُها

تلك الفتاةُ لها أصلٌ يطوّقُنا

النَّفسُ فطرتها كانت محبّتها

فكيفَ نقبلُ من يأتي يفرّقنا

إنّا نُحبُّكِ يا أرضًا مقدّسةً

لا أرضَ غيركِ في الدّنيا ترافقنا

كما نؤكّدُ حبًّا ظلَّ يجمعنا

ومن وثاقٍ بهِ لا شيء يُعتقنا

ونحنُ نقسِمُ أنّا لن نفارقها

فالعهدُ إرثٌ من الآباءِ يَلحَقُنا

نظلُّ نسمعُ صوتًا جاءَ يؤنسنا

كأنَّ ظلاً لأجدادي يلاحقنا

ورغمَ ما صارَ من داءٍ ومن ألمٍ

ما زلتُ أشعرُ أنّ القدسَ تعشقُنا

فالحبُّ والعشقُ من دهرٍ يُلازمنا

كأنّ صمغًا معًا في القلبِ يُلصقنا

الـرّوحُ فيهـا سـتبقى في تألّقهـا

تـأتي إليهـا مـن الأكنـافِ تـسبقُنا

والنّاسُ تلمَسُ حُسنًا في ملابسها

وفيـه معطفُهـا جيـبٌ ليرزُقَنـا

نـسيمُ أنفاسـها مـسكٌ يعطِّرنـا

إنّ الهـواءَ هنـا فيهـا يوافقُنـا

كـأنّ عينـكِ فيهـا مـا يُعاتبنـا

فـسامِحينا فـإنّ الوضـعَ يُرهقنـا

تلـك الكريمـةُ مـن نـسلٍ مباركـةٌ

قـدْ ضـمَّنا قـدرٌ دومًـا يُعانقنـا

كـلُّ العبـادِ سـتأتي أرضَ محـشرِها

فهـل سـنعبرُ والتَّقـصيرُ يَـسحقُنا

يا ربّ ألطف بنا في أرضِ منشرِنا

فكيــفَ نجتــازُ والآثــامُ تُرهِقُنــا

الجُرح

يا نفسُ حتّى إن سَلمتِ من الأذى

فالحزنُ في جسدي على طولِ المدى

وَجَعٌ من الأجسادِ أكثر رأفةً

من صرخةِ الأرواحِ في وقتِ الرَّدى

ألمٌ يمسُّ الرُّوح من آثارهِ

ما لا يُطاق متى العذابُ تسيَّدا

قد كان أمرٌ في السَّماء مقدّرًا

لِيَميزَ قلبًا في القلوبِ تفرّدا

ويكونُ درسًا للعبادِ وأهله

من شاءَ منهم أو أرادَ تعبُّدا

جـرحٌ هنـا مـا زالَ ينـزفُ مؤلـمًا

وعويـــلُ أوطـــانٍ أراهُ مُجـــدَّدا

يـا أمّـة الإسـلامِ هـل بـك نخـوةٌ

والقـدسُ تبكـي تـستغيثُ المنجِـدا

هـــلّا أرادوا أن تمـــوتَ بأرضـــها

مـاذا جـرى لا تُطلقـوا فيهـا يَـدا

مـا بـال أقـصاها حـزينٌ عـابسٌ

مـع أنّـه مـسرى يحـبُّ محمَّـدا

هـذا هـو الأقـصى ينـاجي ربّـهُ

يـشكو المقـصّرَ في الـذّنوب تقيّـدا

كيـف المهانـةُ تـسمحون بـأسرهِ

ولـه مـن الـدّرجاتِ حتّـى يُفتـدى

فعـسى جوابـك عنـد ربّ عـالمٍ

يـوم القيامـة كـان أمـرًا مُـسْنَدا

المسجدُ الأقصى وحولهُ عزّةٌ

كانَ المقدّس والمبارك مسجدا

هذي البلاد مباركٌ ما حولَها

الفضلُ فيها لا يزالُ معدّدا

غرفتْ من الإسلامِ عزًّا هيبةً

وأتتْ تنير على الزَّمان المشهدا

كانت هنالكَ أمّة ورسالةٌ

ماذا دهى ميراثها فتبدّدا

ولقد ورثنا المجد كنّا أمّةً

ما زال ذكراها هناك ممجّدا

ما كان من مجدٍ يطوّقنا غدَا

ذكرى وآثارٌ يبيتُ مهدّدا

ريحٌ أتت في غفلة من أمرِنا

باتت لأمجادٍ لنا متصيّدا

صرنا غثاءً نحن صمٌ بل نرى

نزع المهابة أمرها قد جرّدا

أين المظفّر سعيه أهدافه

عملٌ جليل في الزّمان مخلّدا

بل أين خيلٌ كان في ساحِ الوغى

خيّالها في اللّيل يبقى ساجِدا

لمّا رغبنا عن معالي ديننِا

أبدلنها فالأمر صار مقيّدا

ربّوه جيل اليوم وارعوا علمَه

واستثمروا في الدِّين ترضوا أحمدا

ربّوه بالأخلاق واخشوا رَبَّه

واسقوه من كأس الكرامة سؤددا

ترجو الثّواب وأنت دينك ناقصٌ

والفعل كان مُنَفّرًا ومرصّدا

حـــقٌّ لـــدين الله في أعناقنـــا

والـــدّينُ مكتمـــلٌ تـــراه تجـــسَّدا

هـــذا هـــو الإســـلام مدرســـةٌ بهـــا

فـــضلٌ وأخـــلاق تـــراه مـــشدّدا

اغرفْ مـن الأخـلاق وانقـل عهـدةً

وانـــدهْ بـــأخلاق الكـــرام مـــسيّدا

حتّـــى يبـــاهي الله فينـــا خلقَـــه

اعمل من الأخلاق صرحًا مرشِدا

كنّـــا لـــدين الله حقًّـــا معلـــمًا

يأتيـه مَـن في الأرض لـن يـتردّدا

يـــا أيّهـــا الآبـــاء ربّـــوا علّمـــوا

حتّـى يعـود المجـد فينـا جيّـدا

إنّـــا لَنقـــدر أن نكـــون بـــديننا

أســـيادَ صرحٍ مـــن يـــدينا شـــيّدا

ديـــنٌ حبـــاه الله كـــلَّ كريمـــةٍ

خـــير مـــع الأيّـــام ظـــلَّ مُجـــدِّدا

يـــا ربّ وارحـــمْ أمّـــة في أحمـــد

فعـسى رضـاك لهـا يكـون مؤيّـدا

قصّة مدارس القدس

(إلى المربية الفاضلة عليّة إبراهيم نسيبة)

من أرضِها في القدسِ كانَ طريقُها

ما أعظم البيت الذي يُؤويها

قد جئتُ أحكي قصّةً لعظيمةٍ

من بعدِ شكرٍ خالصٍ يُوفيها

هذي حكايَتُها سأبدأ سَردَها

لتظلَّ ذكرى في غَدٍ نَحكيها

لتكون ذكرى للبلادِ وأهلها

تسترجعُ الصَّرحَ الذي يبنيها

في القدسِ كان بَريقُها متألّقًا

حتّى تُنيرَ مدارسًا تُزهيها

هــذي تؤسّــسها وتلــكَ تُــديرُها

حتّــى غــدت علــمًا بهــا تُعليهــا

بــدأت إدارتهــا بخــير مــسيرةٍ

والقدسُ تشهدُ مـن أتـى يُعطيهـا

كانــت معلّمــةً وباتــت معلَــمًا

والفــضلُ كــان لربِّهــا يُجليهــا

بــدأت معلمــةً بــ"مأمونيَّــة"

وغــدت مــديرتها التــي تُثريهــا

بــدأت إدارتهــا كخــيرِ مــديرةٍ

والعلــمُ نبــعٌ طيّــبٌ يَــسقيها

والبيــتُ ســاندها فكانــت نجمــةً

وأتــى بريــقُ العلــمِ مــن أيــديها

جاءت من القدسِ الشّريفِ كنسمةٍ

لتظــلَّ أجيــالٌ بهــا تُحييهــا

قـد كـانَ منهـا كـلُّ فعـلٍ طيّـبٍ

نبـعٌ كـريمٌ جـاءَ مـن باريهـا

لا شيء كـان سـوى بريـقٍ خالـدٍ

مـا زالَـت الـذكرى لهـا تَلفيهـا

حتّـى بيـومٍ جـاءَ ظـلُّ أسـودٌ

يـسبِي الـبلادَ يـردُّ مـن يُنجيهـا

مـرّت عـلى بلـدٍ شريـفٍ غمَّـةٌ

كانـت ومـا زالـت بهـا تُؤذيهـا

تلـك الـبلادُ أتـت عليهـا كربـةٌ

طـوتِ العبـادَ بمحنـةٍ تُـدميها

مـا كـان مـا يجـري عليهـا مُزحـةً

بـل كـانَ أمـرًا واقعًـا يُبكيهـا

الأرضُ عطـشى في زمـانٍ غـابرٍ

تحتـاجُ كأسًـا طيّبًـا يَـسقيها

واللّيـلُ صـارَ سـوادهُ متعاضـدًا

والـصّبحُ مفقـودًا ولا يَغـشيها

وجـراحُ أوطـانٍ وأرضٍ غـضّةٍ

تحتـاجُ روّادًا بهـا تَـشفيها

شـاءَ الإلـهُ وتلـكَ كانـت حكمـةٌ

ليَميـزَ في هـذي الـبلاد وجِيهـا

وقـضتْ مـشيته لتمـضي بيننـا

ويـسجّلُ التّـاريخُ صـنعَ بَنيهـا

مـا كـانَ إلا أن يـشيرَ بـأمرهِ

حتّـى تعـودُ جليلـةً ويقيهـا

يمضي الزّمان على الحوادث بيننا

يُبـدي إلينـا قـصّةً لنَعيهـا

مـن للعروبـةِ إن أتاهـا ظـالمٌ

وأتـى ليـؤذِي القـدس أو يطويهـا

ويزيـلُ حتّـى في المـدارس اسـمها

فيجهّــلُ الطــلابَ أو يَــشقيها

أيكــونُ منهــاجٌ بغــير حميّــةٍ

ويخطّــه متغطــرسٌ يُقــصيها

أيــصيرُ درسٌ مــن مثــالٍ ســيِّءٍ

قــد دسَّ فيــه ســمومَه يُوهيهــا

أيعلّــمُ الأجيــالَ علــمًا كاذبًــا

قصــصًا مــزورةً أتــى يرويهــا

أيــضيعُ نــشئٌ أو تَــذوبُ كرامــةٌ

ويفــرُّ مــن هــذا الــبلاد بَنيهــا

مــا كــان إلا أمّــة ولّادة

كانــت "عليّــة" حولهــا تُرضــيها

كانــت وأمــي للعهــودِ تبنَّتــا

سُــبلَ الكرامــة في الــبلادِ وفيهــا

تلـك الـسّواعدُ في الـبلادِ كأنهـا

مَلَـكٌ كـريم حولهـا يُنجيهـا

وقفـتْ وقالـت لـن أبيـعَ كرامتـي

وأُسـمّمَ الأطفـالَ أو أؤذيهـا

رفـضتْ وكـانَ قرارهـا متأصّـلاً

مـن بيئـةٍ وطنيّـة تَرويهـا

قامـت وغيرهـا كـي تُـصحّحَ أمرنـا

وتجاهـد الظُّلـمَ الـذي يَبغيهـا

تركـت مـدارس صـار فيهـا ظلّهـم

مـع أنّهـا كانـت بهـا تُعليهـا

تركت مدارسهم ومـا صـارت لهـم

إلا بِـسبيٍ قـاهرٍ يـشقيها

الـدّمعُ كـان بجفنهـا مـتراكمًا

تبكـي مدارسـها التـي تؤويهـا

كانــت بيــومٍ قيــل عنــه نكــسةٌ

تلــكَ المــدارسُ قمّــة تأتيهــا

وفــراقُ مدرســةٍ عظــيم شــأنها

أيكــون ســهلاً أن تــضمّ ســفيها

جــاءت لــتعلنَ للجميــعِ قرارَهــا

مــا كــان محتــلٌّ هنــا يُغريهــا

اللهُ يــــرزقُ أهلَــــهُ وعبــــادَهُ

وَيُقَــــسِّمُ الأرزاقَ أو يُعطيهــــا

رَفــضت وإخوتهــا وكانــت قــدوةً

والأمــرُ صــارَ لربِّهــا يُجريهــا

وَسَــعتْ لتبنــي للعلــومِ منــارةً

لتكــونَ صرحًــا طيّبًــا يُرضــيها

حتّــى تُجفّــف للعــدوّ مــرادَه

ويكــونُ للطّــلابِ مــن يَكفيهــا

ويعيـــدَ مُـــضطرًّا منـــاهجَ أمّـــةٍ

حتّـى يكـونَ هنـاكَ مـن يَـشريها

قامـت تؤسّـسُ مـن جديـدٍ مجـدها

تبنـــي النّظاميّـــة التـــي ترضـــيها

فكأنّهـــا عـــادت لِـــتُعلي همّـــةً

وتؤسّـسُ الـصّرحَ الـذي يغريهـا

قامـــت لتَنْـــشدَ معلـــمًا ببنائهـــا

وتنـــيرُ مجـــدًا طيّبًـــا يُمليهـــا

وتـذلّلُ الـصَّعب الـذي ينتابهـا

وتبعثـرُ الـشَّوكَ الـذي يؤذيهـا

وطـوى الزَّمـان عـلى البنـاء وأهلـه

ليكـــون صرحًـــا طيّبًـــا يعليهـــا

مـــن أربعـــين ونيّفًـــا بفنائهـــا

تَـسقي وتـزرعُ نخلَهـا وتعيهـا

ويمـرُّ جيـلٌ بعـد جيـلٍ عنـدها

وهـي الفتيّـةُ لم تـزل تُعطيهـا

حتّـى تقـدّرَ أن تكـونَ بفـضلها

هـذي "النّظاميّـة" التـي ترضـيها

تزهـو هنـاكَ عـلى المـدارسِ كلّهـا

وبناتهـا في صرحهـا تُزهيهـا

سـتظلُّ ذكـرى مـن عظـيم مـؤمنٍ

قـد شـاء أن يُبنـى عـلى أيـديها

غرسـت بـذورًا في فنـاءٍ شـامخٍ

وسـقتهُ مـاءً طيّبًـا يـشفيها

حتّـى غـدا ثمـرًا ونخـلاً باسـقًا

في كـلّ ناحيـةٍ تريـكَ بَنيهـا

جـاءت لـتروي أرضـها بمهـارةٍ

فالمـاء معهـا خالـصًا يرويهـا

كانــت عــلى عهــدٍ لأشرف بقعــة

حتّــى تــربّي مــن أتــى يبغيهــا

يمضي الزَّمان على البلاد وأهلها

ويــسجّلُ الــرّحمن مــن يأتيهــا

مــا كــان ربّي أن يُــضيِّعَ أمَّــة

إن شــاءَ ســاندها بمَــن يَكفيهــا

حتــى يخــصَّ مــديرةً بنّــاءة

ويخطَّهــا في دفــترٍ يحــصيها

ممالــكُ الــشّرقِ أشــباهٌ لمملكــةٍ

ودولـةُ الـتركِ منهـا جاءنـا الخـبرُ

المجـدُ والعـزُّ والإحـسانُ ظلَّلهـا

والخيرُ فيها قـد اشـتاقت لـه البـشرُ

مـشتْ مـع الحـقِّ أجيـال لأزمنـةٍ

نعمَ الرئيسُ ونعمَ الجيشُ والحضرُ

قـد يَمَّـمُ البحـرَ في عـزٍّ وفي دِعَـةٍ

فَغـزّةُ اليـومَ قـد نـادت وهـم نَفَـروا

كــأنّ معتــصمَ الأتــراكِ يَمّمَهــا

وما سِـواهُ مـن الأعـرابِ قـد قُـبروا

قد عادَ معتصمٌ في الأرضِ يَنصُرنا

من بعد أن مُلئت في أرضنا الصّورُ

مهابةُ الفعلِ في الأقوالِ نلحظها

ما عادت اليومَ في الأتراكِ تستترُ

وشعلة الحقِّ نور يستضاء بها

في أرضكِ اليومَ يا غازي لها شررُ

شاء الإله لغازي اليوم مكرمةً

ليستعيدَ خطى الأجداد يفتخرُ

ليستعيدَ وميضًا كان يُرشدنا

عسى يعيدُ عصورًا كلّها درُ

كانت فَلسطينُ في حضنٍ مكرّمةً

ما مسّها منه إثمٌ أو أتى ضررُ

تعاهدوها سلاطينٌ معظّمةٌ

في مقلَتيهم إلى أن جاءَها القَدرُ

وأَلبَسوها وقارًا لا مثيل له

ما خانها أحدٌ أو ساءها نفرُ

مذ فارقوها أتاها الشَّرُّ يسرِقها

والطَّامعونَ وكلَّ الأرضِ قد غدروا

عبد الحميدِ تجلّى في مودَّتها

وأعلنَ الأرضَ وقفًا كُلَّها أَثرُ

ذاك العظيم له منّا محبّتنا

لولا الظُّروف لعاد العزُّ ينهمرُ

إنّي أُيمّمُ قبرَ الشّيخِ أؤنسهُ

ما زال قوله مأثورًا به العبرُ

لولا المخافة من إثمٍ يلاحقنا

وأن أُلامَ على فعلي وأنتهرُ

لجئت قبرك مولانا أقبّله

وأمسح النّصب بالعينينِ أفتخرُ

كـانوا سـلاطينَ للخـيرات همّـتهم

والأرض تشهد والإنسان والحجرُ

والنّـصر كـان بـإذن الله يتـبعهم

مـع المهابـة إن غـابوا وإن حـضروا

قول الرَّسول أتى بـشرى تطـوّقهم

قـد كـان يعلـم أنّ الـترك تنتـصرُ

نعـمَ الأمـير ونعـم الجـيش قائـدهم

ذاك الحديث على الأتـراك ينحـصرُ

تلـك البـشائر تمـضي كـي تخلّـدهم

مـا كـان وعـد ليـأتي ثـم ينـدثرُ

مدح الجـدود إلى الأحفـاد تجمعهـم

بشرى الرَّسول لجيش كيف تستترُ

نعـمَ الأمـيرُ ونعـمَ الجيشُ خلّـدهم

قـولٌ عظـيمٌ عـلى الأتـراك يقتـصرُ

نعـم الملـوك عـلى خيـلٍ مـسوّمةٍ

العـزُّ كـان عـلى الأرجـاء ينتـشرُ

لـتملأ المجـدَ مـا داسـت حوافرُهـا

ولـن تحيـدَ لأجـل الخـير تنـصهرُ

ودتتُ لو عـاد ذاك الخيـل في بلـدي

لـه صـهيلٌ عـلى الأعـداء يَزدَجِـرُ

تلفّتـوا تجـدوهم طـوع خـدمتكم

لعـزّةِ الـدّينِ والإسـلامِ وانتـصروا

مـا عـادَت النّـاسُ للإسـلامِ تَنـصرهُ

بل أصـبحوا مثل شـوكٍ كُلّـهُ ضررُ

كنـتم مَعينًـا لظمـأى في تكـرّبهم

فهـل تَعـودوا فـإن الأرضَ تنتظـرُ

الله أكـــبر إنّي اليـــوم أعتـــذرُ

والطّيبـون لمـن حـادوا لهـم غفـروا

تحية إلى وطني فلسطين

حَيّيتُ يا وَطَني أَرضي فَحَيّيني

يا موطن العِزِّ والزَّيتونِ والتِّينِ

يا درّة في جبين الأرض ناصعةً

يُغري المقام بها قلبي فيغريني

حَيّيتُ أَرضِيَ مَفتونًا بِروعَتِها

فالخيرُ في مَوطِنِ الأجدادِ يكفيني

حيث التُّرابُ على شيءٍ يُطيّبُه

وفي الهَواءِ نَسيمُ العِطرِ يُشْجيني

من نَفحَةٍ أو عَبيرٍ خَصَّ تُربَتَها

ما خَصَّ أرضًا سوى أَرضي إلى الحينِ

في كـلِّ شِـبْرٍ أرى شـيئًا نُباركِـهُ

فـلا مَكـان هُنـا إلا يُواسـيني

إنّي أُقبّـلُ مـا فيهـا وأَلثمـهُ

عـسى القَداسَـةَ تَـشفيْني وتَحميْنـي

جَـاءت بَـشائرُ في القـرآنِ تُخْبِرُنـا

وفي الأَناجيـلِ تَأكيـدٌ وفي الـدّينِ

فَبجِّـل الأرضَ يـا مـن جـاءَ بلـدتنا

وخـذ وضـوءَكَ حتّـى في البَساتينِ

أَمـشي عَـلى مَهَـلٍ في كـلّ مِنطقـةٍ

فَكيـفَ أُسرِعُ في أَرضٍ تُحيّينـي

وكَيـفَ أعـدُو عـلى آثـارِ سـادَتنا

مـن النَّبيـينَ والأَخيـارِ في الطّـينِ

كانـت ولا زالـت الخيراتُ تَملؤُهـا

يـا بلـدة الطُّهـرِ إن القُـدسَ تُحْيينـي

هــذا ثَراهَــا تجــلّى مُنــذُ أَزمِنــةٍ

فاضـت رُبـوعٌ وبـالأرزاقِ تُهـديني

إنّ الجَــمالَ هُنــا مــا كــانَ يُخْطِئُهــا

يَكــونُ في غَــيرِ أرضٍ أو رَيــاحينِ

إنّي أُحِبُّــكِ يــا أَرضًــا مباركــةً

لا شيءَ غيرَ عُيون القُدسِ يُغرينـي

مـا كانـت العينُ تَنسى مـا يُـداعِبها

أو الفـؤادُ مـع الأحبـابِ يَعـصُوني

فَــأعْطِني عَــسَلاً يَمْــلا جَوانِبَهــا

ثــمّ اســقِني لَبَنًــا منهــا لترويــني

إنّي أتيــتُ بــلادَ النّــاسِ قاطِبَــةً

فما وجدتُ سوى أرضي لتُرضـيْني

وكيــفَ أُبْــدِلُ أوطانًــا مُباركَــةً

بــما سِــواها فــلا شِيءٌ سَــيكفِيني

ما كُنتُ أَحْسَبُ أن الأرضَ تَعشقُني

كَأنّهـــا امـــرأةٌ حَـــسناءُ تُغـــوينـي

نبـــادلُ الـــودَّ والأحـــلامُ تَجمَعُنـــا

في بلـدة الطُّهـرِ كـلّ الخـيرِ يَـأتيْني

لماذا الحجاب

مـن القـدسِ ناديـتُ كـلَّ الرِّجـال

هنـــا أوهنـــاك فـــردّوا النِّـــداء

صرخـت بمـن هـم وراء البحـار

أغيثـوا بـلادي وكفـوا العنـاء

فهـذي بـلادي بطـول الزَّمـان

بهـا البركـات تنـير الفـضاء

تمنّيـتُ مـن رجـل بالحجـاز

فيـأتي يُكفكـف عنّـا البكـاء

وعـدت أنـادي رجـالِ العـراق

لعـلّ الرّشـيدَ يـردُّ الـبلاء

وناديتُ من هم بأرضِ الشَّآمِ

تعالوا إلينا وهاتوا الدَّواء

وما زلتُ في كلّ أرضِ العِباد

أُفتّشُ عمّن يجيبُ الرّجاء

وفي مصر أو في بلادِ الشّمال

ألا رجل ظلّ فيه الإباء

وفي كلّ أرضٍ وأفقٍ هناك

صرختُ عليهم أعيدوا الوفاء

ووجهتُ شرقًا وغربًا نداء

وأرسلتُ أخبارنا والدعُّاء

أخطُّ الرّسائلَ فيها البُكاء

وآهاتُها القدس تشكو الجفاء

لعلّ يجيب عليها رجال

فيأتوا يلبّوا ويعطوا الضّياء

سـألت دلـيلي أمـات الرِّجـال

لمـاذا تـردُّ عَـليَّ النّـساء

أمـا عـادَ يوجـدُ فـيهم رجـال

أولئـك لـيس لَـديهم إبـاء

أولئِـك أشـباهُهم بـالرّداء

وقـد فقـدوا عـزَّهمُ والحيـاء

فلـيس هنـاك كـلام يقـال

وقـد أصـبحوا كلّهـم جبنـاء

فكـلّ الرّجـال هنـاك نـساء

ولـو وضـعوا لحيـةً أو رداء

فأفتيـتُ أن لا تبيعـوا الحجـاب

وهـم قـد تـساووا وصـاروا سـواء

عجبـت كـذاك لمـاذا النقـاب

وكـلّ الرّجـال تعـيشُ نـساء

وأنّ رجـــالاً علـــيهم حجـــاب

إذا مـــا أرادوا بيـــوم دعـــاء

ثورة الشباب العربي

مـن تـونس الخـضراءِ كـان بَريقُهـا

مـا أجمـل النُّـور الـذي يلفيهـا

نـورٌ يعيـدُ إلى العروبـةِ مجـدَها

مـن بعـد ذلٍّ جاءهـا يُنهيهـا

قـد جـاءَ يُرشـدُها شـعاعٌ بعـدَما

تاهـت وكـادَ زمانُهـا يُخفيهـا

أضـحت شرارتهـا تنـيرُ بلادنـا

واللّيـلُ كـانَ سـوادهُ يمليهـا

جـاءت إلى مـصر الكنانـة شـعلةٌ

تجـري بنهـرِ النّيـلِ في واديهـا

لتعيـدَ مـصرَ كـما نريـدُ عظيمـةً

وتردّهـــا لطريقهـــا تَهـــديها

وَتَمُـــدُّ كفّيهـــا تعـــينُ شـــقيقها

وتـضمّدُ الجـرحَ الـذي يُبكيهـا

اليـــومَ نفخـــرُ أنَّنـــا مـــن أمّـــةٍ

عـــادت إليهـــا روحهـــا تَبغيهـــا

ظنّـوا الوفـاةَ وقـد رَأوهـا جثَّـةً

واللهُ شـــاءَ بفـــضلهِ يُحيهـــا

تجـري الـشّرارةُ في الـبلادِ كأنّهـا

مـــاءٌ عظـــيمٌ جاءهـــا يرويهـــا

كـــلّ الـــبلادِ كأنّهـــا ظمآنـــة

تتلقّـفُ الكـأسَ الـذي يـسقيها

فـدمُ العروبـةِ في ثَراهـا مُـشبَعٌ

قـد فـاحَ في أرجائهـا يزكيهـا

تمـشي الكرامـةُ في الـشّبابِ كأنّهـا

نـــارٌ تـــشقُّ طَريقَهـــا وتَعيهـــا

ودنـت مـن الـيمنِ الـسَّعيدِ شرارةٌ

فالكـــلُّ يطمَـــعُ في غـــدٍ يُنجيهـــا

وَهُنـــاكَ في ليبيـــا يـــشعُّ شُـــعاعُها

فـــالنُّور مـــن مُختارهـــا يهـــديها

ودمـشقُ قـد عـادت لتـذكر إرثهـا

وتُعيـــدُ مجـــدَ أميّـــةٍ لبنيهـــا

الـــشّعبُ في كـــلّ الـــبلادِ يُريـــدها

لا قيـــد مـــن حكّامهـــا يكويهـــا

قـــد عـــادَ فجـــرٌ كـــانَ منهـــا تائـــهٌ

فالـصّبحُ طـالَ وعادَهـا يُغريهـا

النّـاسُ مـا عـادت تلـين لظلمهـا

تـسري الكرامـةُ في نفـوسِ بنيهـا

الكـــلّ ملتـــفٌّ عـــلى أركانهـــا

جَـــسَدٌ وروحٌ لا تطيـــقُ ســـفيها

الشّعبُ شاءَ وتلك كانت صرخةٌ

لا ظلـــمَ بعـــد اليـــوم قـــد يأتيهـــا

ســـالت دمـــاء كـــي تطهّـــرَ أرضـــها

والحـــرُّ يـــدفعُ روحـــه يُهـــديها

حتّـــى إذا سُـــلّت عـــلى أبوابهـــا

أرواحهـــم كانـــت لهـــا تَفـــديها

كانـــت شَـــهادَتُهم عـــلى أجـــسادهم

ذاكَ الـــشّبابُ بعزمِـــه يُعليهـــا

قـــد شـــاءَ يَرفَـــعُ رايـــةً خفّاقـــةً

ويقاتـــلُ الظّلـــمَ الـــذي يـــصليها

ويـــسطّرُ الـــسّطرَ الأخـــيرَ بظلمهـــم

ويعيـــدُ مجـــدَ بـــلاده يُزهيهـــا

اليـــومَ يُعليهـــا يعيـــدُ كرامـــةٌ

هـــدمتْ وعـــادَ بعـــزّةٍ يبنيهـــا

يـا ويـح مـن يـصبِ الـبلاد بظلمـهِ

الـــشّعبُ جـــاءَ بهمّـــةٍ يحميهـــا

ويـردُّ مـن جـوف الـذّئابِ غِلالهـا

مـن بعـد أن رَتَعـت عـلى ماضـيها

الآن تُطـــوى صَـــفحة بكتـــابهم

لتكـــونَ في تـــاريخهم نَحكيهـــا

تلـــك المـــآسي حولنـــا وفعـــالهم

شـهدتْ بـأنّ الـنّحس مـن أيـديها

يـــا ويحهـــم وكتـــابهم بـــشمالهم

قـد خـطّ فيـه فعـالهم يحـصيها

مـا كـان شـخصٌ أن يغـيّر جملـةً

مـن بعـد أن جفّـت عـلى مـا فيهـا

حتّــى تقــدّرَ أن يلاحــقَ اســمهم

مــن كــلّ وصــفٍ حــصّة يُعطيهــا

مــا عــادَ للتّــاريخِ إلا جَمعهــم

في ظــلِّ حاشــيةٍ لهــم يطويهــا

ليظــلّ يلعــنهم ويلعــن ذكــرهم

مــن بــاتَ يقــرأ قــصّةً يَرويهــا

هــل كــان عيبًــا أن يقــومُ بهمّــةٍ

ويخــطّ ســطرًا طيّبًــا يلغيهــا

يــا ربّ قــد جــاء الــشّبابُ يُريــدها

خــيرًا يعــمُّ الأرض أو يُثريهــا

لِــيَكن قــضاءُكَ ربّنــا ليعينهــا

مــن أجــلِ مجــدٍ خالــدٍ يُرضــيها

قافية الحرية

تــاقَ العَــروضُ لأشــعارٍ وقافيــةٍ

تخلُومن الغُشِّ والتَّدليسِ والكَذبِ

يا فرحةَ الشِّعرِ مذ جاءت بَشائِرُها

كي تُكتَبَ الآن أبياتٌ مـن الـذَّهبِ

اليــومَ نكتُــبُ أشــعارًا وننــشدُها

في صفحةِ العزِّ في التَّاريخِ والحقبِ

الحمـــد لله أن عـــشنا لننظمهـــا

قولاً من الشِّعرِ في متنٍ مـن الأدبِ

الــشِّعرُ والنّــثرُ لا شيء ســيأسرهُ

أو يخطفُ النصَّ في الأقوالِ والكتـبِ

الآنَ نهتِـــفُ أحـــرارًا بموطننـــا

لا كبتَ أو خوفَ من همسٍ ومن خُطَبِ

كنّـــا عبيـــدًا لـــسلطانٍ وحاشـــيةٍ

نـــساقُ كالـــشّاةِ في ذلٍّ وفي تعـــبِ

قد داس فوق رقاب النّاس حاكمُنا

وراح يكوي حياة الشّعب باللَّهـبِ

هـــل ظـــنَّ أنّـــا عبيـــدٌ في مزارعـــهِ

قـد ورَّثَ المـالَ والإنـسانَ بالرُّتـبِ

ما ضرَّ لو كانَ منذ الأمسِ صـاحبُنا

أبًـــا كـــريمًا لأبنـــاءٍ مـــن النُّخَـــبِ

مـا ضرَّ لـو كـان مولانـا وخادَمنـا

الشّعبُ والأهـلُ سيّانٌ إلى النَّسَبِ

مـشى عـلى سـيرة الأبـرارِ مجتهـدًا

فأنقَـذَ النّـاسَ مـن ذلٍّ ومـن طَلَـبِ

مـا ضرّ لـو عطّـرَ الـدّنيا بـسيرتهِ

وجـاء بالعـدلِ والخـيراتِ للعـربِ

هـل كـان يؤذيـهِ أن يـسعى لعزّتنـا

وينشلُ الشّعبَ من ضيقٍ ومن نَصَبِ

الـسّيفُ كـان عـلى أعنـاقِ أمّتـهِ

والغدرُ منه إلى الأرجـاءِ بالـسَّكَبِ

وللعـــدوِّ ســـلامٌ مـــن مَعيَّتـــهِ

فالسَّيف بردٌ على الأعداءِ من خشبِ

قد ساس دهـرًا عـلى قـانون شرعتـهِ

يعطي من القهرِ والإذلالِ عـن كثـبِ

عـــادت نـــسائِمُ أمجـــادٍ مباركـــةٍ

تسري إلى الأرضِ في هطِلٍ من السّحبِ

هـذي العروبـةُ أحـرارٌ تـسانِدُها

حتّـى تُعيـدَ لـواءَ المجـدِ بالغلـبِ

لاحـت بَـشائِرُ قـد هلَّـتْ لتفرحَنـا

والـدّهرُ مـن زمـنٍ بـالعزِّ محتجـبِ

هذا هو الدَّهرُ يعطي المرء موعظةً

من نشأةِ الخلقِ درسًا كـان لِلنُّجـبِ

اليـوم قومـوا لنـسعى في مناكبهـا

فلا قُيـود ولا خـوف مـن الغـضبِ

بيـتٌ مـن الـشِّعر قـد جئنـا نـردِّدهُ

حتّى تعـود بحـور الـشِّعر للعـربِ

لن يُمدحَ اليوم طـاغوتٌ ويـذكَرهُ

بيتٌ من الشِّعر في داجٍ من الـشُّهبِ

فالشِّعرُ حرٌّ سيـسري مـن حناجرنـا

ولـن يكـون أداة الغِـشِّ واللَّعـبِ

إلى شهداء فلسطين والشباب العرب

شَـهدتُ عَليـكَ يـا وَطنـي ... فكنـتَ أعـزَّ مـن جَـسَدي

فَخـذْ مـا شِئتَ مـن لَحمـي ... لتـسقِي مـن دَمـي بَلَـدي

لِيبـقَ تُرابُـكَ الأغـلى ... بـإذنِ الواحـدِ الـصّمدِ

وهبتـك كـلّ أنـسجتي ... فخـذْ منـي ولـو كبـدي

وغـذِّ الأرض مـن بـدني ... لينبـت زرعهـا ولـدي

فيحيـا فـوقَ أكنـافي ... يَعـيشُ هنـاكَ كالأسـدِ

سـماءٌ كـان مـن قطعـي ... إلى أرضي ومعتمـدي

يفـيضُ هنـا بمنطقتـي ... عـلى مـن جاءهـا بعـدي

ودقَّ العظـم أوتـادًا ... تـصونُ ثـراك للأبـدِ

عـسى نخـلي وزيتـوني ... يـشدُّ جُـذورها وَتَـدي

ولــفَّ الــشَّعرَ أربطــةً تطرّزهــا عــلى العُهَــدِ
يمــدُّ عــلى بــساتيني وتحكمــه مــن العُقَــدِ
وخــذْ منــي شرايينــي لتنقــلَ بعــض مُعتقــدي
بــأنّي جــدتُ بــالنَّفسِ ليبقــى مــوطني لغــدِ
وقــل للطّيرِ لــو مــرّت تُحَيينــي عــلى لَحِــدِي
وأجــبر كــلّ مــن يــأتي يُعاهــدها رفــاتُ يــدي
لتبقــى أعظــمَ الأوطــان ســحرك ســائر الأمــدِ
لأجــلِ مروجــكِ الخــضراء كنــتُ أنــا مــن العــددِ
وَهبــتُ اليــومَ أنفــاسي قــرارًا كــانَ لي وحــدي
لقــد أحببتــهُ وطنــي كــأمّي دار في خَلَــدي
وكــانَ معــي يُظلّلنــي يــداويني مــن النّكــدِ
كــصحبي كــان يُؤنــسني إذا مــا اشــتدّ بي كمــدي
وأعقبنــي بــه جــدّي وفيــه تركتــه مــددي
وظــلّ هنــا يُــدللني يــشدُّ بعــزّه جَلَــدي

يقينـــي مـــن مُعانـــاتي ويحمينـــي مـــن الـــشَّردِ

ورزقٌ منـــــهُ يـــــأتيني مـــن الأمطـــارِ والـــبَرَدِ

أنـــا ســـأردُّ مـــن قلبـــي إذا نـــادى عـــلى أحَـــدِ

وأعلـــنُ أننـــي أهـــواه كتبـــت بـــذاك مـــستندي

الوهنُ والجرحُ والأوجاعُ تقتلُني

والحزنُ في الصّدر يأبى أن يفارقَني

والدّمعُ يقطرُ من عيني ومن كبدي

أبكي بلادي وأبكي ما يُضايقني

الوحشُ ينهشُ من أرضي ومن بَلَدي

فكيفَ أحيا وقد أمسى يطوّقني

أكابدُ العيشَ والآلامَ تُوجعني

وليسَ يوجدُ حولي من يُصادقني

ورغم جرحي وآلامي على بدني

الهمُّ يطلُبني حتّى يعانقني

الـدّاءُ والبـأسُ في أرجـاءِ منطقتـي

والوضعُ ما انفكّ يـؤذيني وَيـصعقني

أيـن الطّبيـبُ عـسى يـأتي يُعـالجني

يكــونُ معــه دواءٌ قــد يــوافقني

ما عادَ في الطّبِ شيء قـد يُساعدني

فالطبُّ يعجزُ والأعـراضُ تقلقني

هل أترُكُ الدّاءَ في جسمي وفي وَطَني

يـزدادُ في كـلِّ عـضوٍ أو يُمزّقنـي

مــاذا ســأفعلُ لا حــولٌ يُمكِّنُنــي

لأســتعيدَ مكانًــا قــد يــؤلِّقني

هـذا زمـاني متـى يـأتي يُـصالحني

يكـفُّ عنّـي وبـالخيراتِ يُغرقُنـي

لو كنتُ أختارُ عـصرًا قـد يُناسبني

لاخترتُ عصرًا هنا في القدس يَعشقني

فهل أبدّلُ بعضَ الوقتِ من زَمَني

لأستريحَ فحملي كادَ يُثقلني

عسى سأحظى بساعاتٍ وأزمنةٍ

أغطُّ بالنّومِ أنسى من يلاحقني

لو كانَ حُلمًا ليمضي أو ليتركني

لكنّه واقعٌ ما انفكَّ يُرهقني

أنا سأحيا على أرضي وفي وطني

رغم الأعادي أبيًّا من يُفرقني

سأزرعُ الوردَ في بستانِ مَنزِلنا

وأنثرُ الفلَّ فالأزهار تَعتقني

أقاوم الدّاءَ والأمراضَ أدفعها

وحدي بلا سندٍ يأتي يُرافقني

وأعلنُ الحبَّ في أرجاءِ عالمنا

وأكسرُ القيدَ لن يبقى ليشنُقني

أرض فلسطين

هذي بلادي وهذي القدسُ والحالُ

كأنهـــا جنّـــة في الأرضِ تختـــالُ

هـذي فلـسطينُ في الـدّنيا مباركـةٌ

هواؤها من شذى الفردوسِ ميّالُ

وأرضُـها بُـثَّ فيهـا مـا يُجمّلها

والحسنُ في جِسمها ثوبٌ وسربالُ

كـأنَّ تُربَتهـا مـن يـومِ نـشأتها

مسكٌ يفـوحُ بـريحِ الطّيبِ جـوالُ

يَشْتَمُّهُ من أقاصي الكـونِ عاشِـقها

يـأتي ليغـرِف أو يـأتي ليكتـالُ

يـــا درّةً عـــزَّ شيء أن يُماثلهـــا

يـا نفحـةً مـن جنـان الخلـدِ تنهـالُ

على ضـفافٍ مـن الخيراتِ مَوقعها

وللعبـادِ بـأرضِ القـدسِ آمـالُ

النّـاسُ تَقـصِدها تبغـي قداسـتها

كالبـدرِ يبـصرهُ حـلٌّ ورحّـالُ

هـذي فلسطين نبعٌ طـابَ مـشربهُ

يروي ويسقِي ومـا في الأرضِ أمثالُ

تخـالُ عينًـا عـلى حـوضٍ وسـاقيةٍ

المـاءُ عـذبٌ وفي الأرجـاءِ سلـسالُ

غـورٌ وسـهلٌ جبـالٌ بـل وصـحراءُ

أنمـوذجُ الأرضِ في الأنحـاء تمثـالُ

تبـدو فلـسطينُ بـالنّعماءِ عـامرةً

مـن كـلّ قطـرٍ بـأرضِ الله مثقـالُ

كــلّ الــبلادِ تَراهــا في مَلامحهــا

صــدّق عيونَــكَ أم عينــاكَ تحتــالُ

حــسناءُ لــيسَ لهــا أختٌ تُــشابِهُها

فالحــسنُ والعــزُّ فيهــا الآن أنفــالُ

وزادَ موقعهــا في الحــسنِ مــأثرةً

لــلأرضِ حــاضرةٌ فيهــا وأوصــالُ

أرى بموقعهــا وضــعًا يميّزهــا

الــدّارُ والأهــلُ والأمجــادُ أجيــالُ

أرى المحاسـنَ قـد سِيقت لتربتهـا

كــما تــساقُ ميــاهُ الــرّي والمــالُ

أيّ البقــاعِ بهــا شيءٌ يُــشابهها

عزّت عن الوصف والإبداعُ أشكالُ

شــمالها رَطِــبٌ والمــاءُ خــضّرَهُ

والبحــرُ نــسمته للــبرِّ مرســالُ

والظلُّ ظلَّ من الأشجارِ يملؤها

تُسرُّ قاصدها والعزُّ منوالُ

والشطُّ زيّنه رملٌ وأصدافٌ

فمن يشاهدها يَسعد له الحالُ

والغور جمّلها والنّخلُ يؤنسها

في الحقل زينتها والماء بذالُ

تملّكت من عطاء الخير مملكةٌ

فالرّزق مستبشرٌ والخيرُ عجّالُ

تلك البلادُ بها أرضٌ نُقدّسها

فكلّ شبرٍ هنا قد يُسعِدِ البالُ

تعطي من التّين والزّيتون أفضلهُ

والكرم فيها على الأغصان أحمالُ

واللّوز والجوز والرّمان منهمرٌ

والرّزق فوق ثراها هكذا الحالُ

أمّـا الجبـال فـزادت مـن محاسـنها

قداسـة القـدس في الّتـاريخ أعـمالُ

وفي الجنــوب حباهــا الله مكرمــةً

كــأنّما جــاء للفــردوس أطفــالُ

هــذي مكانتهــا والأرض تغبطهــا

كأنّهـــا درّةٌ حـــسنٌ وإجـــلالُ

التلوّث البيئيّ

بانَ الفسادُ هنا في الأرضِ وانتشرَا

في البرِّ والبحرِ لا فرقٌ نَرى العِلَلا

تبكي السّماءُ على أرضٍ معظّمةٍ

أصابَها الضرُّ باتت تُدمعُ المُقَلا

أين الرياحُ التي كانت تُغازِلها

هل جاءَت الأرضَ ريحٌ صرصرٌ بدلا

تلك الكوارثُ ما كنّا نُشاهِدُها

حتّى تملكَ أعضاءٌ لها نُزلا

نتاجُ فعلتِنا وضعٌ يُخوّفنا

فالظّلمُ حلَّ على أرضي وما رحلا

ألغــى المنــاخُ لعهــدٍ كــان وثّقــهُ

مــشى عليــه إلى أن أدرك الأجــلا

النّاسُ في قلقٍ هــم ضَـيّعوا العُهَـدا

والعلـمُ منشغلٌ حتّى نـرى الحِـيلا

الآن تُرعِبُنـــا أخبـــارُ بيئتِنـــا

فمــن يُخلِّــصُنا يــسترجعُ المِلَــلا

ضــجَّ الهــواءُ بغــازاتٍ مبعثــرةٍ

تراكمــت وأتتنــا تحــدثُ الخلــلا

بالأمس قد غادرَ الكربونُ مضجَعَهُ

من باطنِ الأرضِ نحو الجوِّ منتقِلا

طابــت إقامتــه إذ جــاءَ إخوتــهُ

وســاءَ مــا فَعَلــوا إذ غــيَّروا المُـثُلا

تلك الأكاسيدُ والغازاتُ قد عَبَثت

عاثت فسادًا إلى الأوزونِ قد وصلا

الجـوُّ مـا عـادَ في الأنحـاءِ يُـسعدنا

مـذ أرسـلَ الـشّرُّ في أحيائِهـا رُسـلا

أضحى الرّذاذُ مـع الإشـعاعِ يُقلقُنـا

قـد جـاءَ يملؤهـا مـن بعـدِ أن نَـزَلا

حمـضٌ سـمومٌ غبـارٌ كوّنـت مطـرًا

حـرارة الجـوِّ زادت أمـست الجلـلا

أرى الحـرارةَ مـا عـادت تفارقنـا

قد باتَ أكثَرُهـا في الأرضِ معتقَلا

أيـن الفـصولُ التـي كنّـا نُعـدّدُها

والصّيفُ جارَ على أرضي ومـا عَـدَلا

يمـشى التّلـوثُ في الأنحـاءِ قاطبـةً

يهدّدُ الأرضَ مذ أمسى هـو البَطلا

حتى التّرابَ الـذي غطّـى مَزارِعَنـا

شـقَّ الفـسادُ طريقًـا فيـه أو سُـبلا

النّــاسُ تعلــمُ أنّ الأرضَ غاليــةٌ

تجـودُ بالحُسنِ لـو صـنَّا بِهـا الحِلـلا

تلــكَ الحيــاةُ وأنــواعٌ تعــيشُ بهــا

إمّــا مهــددةٌ أو تــشتكى المَلــلا

أين الرّئـاتُ مـن الأشـجارِ نفقِـدُها

كانت معظّمـةً قـد أصـبحت طَلَـلا

تلك الشّجيراتُ والغاباتُ موطنهـا

تــودّعُ اليــومَ في ترحالِهــا الجــبلا

جـاءت لتُقلقنـا الأمـراضُ تُزعجنـا

أمـا العليـلُ فأضـحى يفقـدُ الأمـلا

وفي البحـارِ كـذاك الوضـعُ في قلـقٍ

فالـدرُّ مرجانـه يـشكو لنـا الكَلـلا

يــا حــسرتاه بقــاعٌ كــانَ يملؤهــا

مــا عــادَ فيهــا إلى أمجادِهــا سُــبلا

والثّلجُ في القطبِ بات اليومَ في خطرٍ

سـواحلٌ تـشتكي إذ تـدركُ الـبللا

المـاءُ لُـوّث مـن أفعـال إخوتنـا

جفّـت منـابعُ أو بانـتْ لنـا ذَلـلا

ويحمـلُ النّهـرُ مـا يلغـي طهارتـه

لينقـل الـسّمَ في الأرجـاءِ إن حمـلا

أمـست هنـاكَ نفايـاتٌ مبعثـرةٌ

من كـلِّ نـوعٍ كـأنّ العقـلَ مـا عقـلا

تراكمـت حولنـا في كـل منطقـةٍ

تلكَ النّفاياتُ أمستْ تحدثُ الـوجلا

نـرى التلّـوثَ والتّعـدين مـصدره

كذا التصحّر أضـحى يرهـبُ الـدّولا

إن الأنـامَ بـأرضِ اللهِ قـد عَبثـوا

وفي الحيـاةِ نظـامٌ يـضربُ المَـثَلا

الكــلُّ أذنــبَ والــدّنيا مربّيــةٌ

قَـضت عِقابًـا إلى الأجيـال مُتّـصلا

الأرض تـصرخُ مـن يـأتي يـساندها

بالفعل لا القول حالًا يبـدأ العمـلا

لعــلَّ جـيلًا عـلى أرضٍ سـيخلِفنا

يثني بخيرٍ على مـن عـاشَ وارتحـلا

كانــت سـلامًا عـلى قـومٍ وأزمنـةٍ

غنّـت بـساتينُها مـن لَحنهـا زَجـلا

تعــالَ ننقِــذُ مــا يحيــا بِتربتهــا

حتّـى نعـودَ ونُثريهـا بـما فـضلا

قــد كــان يغبطُنــا إثــراء كوكبنــا

ويسعدُ النّفسَ والأطفالَ والرّجُلا

ذاك التّنــوعُ مــن إبــداعِ خالقِنــا

تمــزّقُ القلــبَ ذكــراهُ إذا أفــلا

تحية إلى خريجي جامعة القدس والجامعات الأخرى

يـا أيّهـا الخـرّيج أنـت المفخـرةْ

إنّي أراك اليـوم نلـت الجـوهرةْ

قَبّـلْ كتابـك إن أردت كعنـترة

لكلاكـما لمـع البريـق وحـاصرَه

وتعـالَ ودّعنـا لـديك المعـذرة

فلقـد مـلأت اليـوم منّـا المحـبرة

حيّي عيـون القـدس عنـد القنطـرة

وتعـال أسـمعها زئـيرَ القـسورة

الآن واقطفهـــا ثـــمارًا مثمـــرة

مـن غـصن جامعـة البهـاء المزهـرة

مــن دوحــة للعلــم باتــت نــيّرة

أمـست بـأشرف بقعـة متـصدّرة

في القـدس جامعـة وفيهـا حـاضرة

مـدّت أمامـك جسرَها كـي تعـبره

أعطتــك أحــلى حلّــة متحــضّرة

ثوبًـا جمـيلًا جـلَّ مـن قـد صـدّره

بـالعلم والأخـلاق صـارت مـأثرة

فيهـا الفـضائل منـذ دهـرٍ مُـشهَرَة

قــمْ أيّهــا الخــرّيج حــيّ الجمهــرة

تلـك الجمـوع أتـت إليـك مخـيرة

حيّتــك والأيــدي هنــاك مطهّــرة

تبـدو كـذاك وجوههـا مستبـشرة

الأهـلُ والأحبـابُ شـدّوا مئـزره

والأمّ تنتظـــر اللّيـــالي المقمـــرة

مـلأوا الـصّفوف لكـي يحيّـوا منبره

ويشاهدوا البطلَ النّجيبَ ومظهره

الأمّ جـــاءت كـــي تـــراه مظفّـــرة

وهنـــاك معهـــا أهلـــه وعـــشائره

جلـست تـرى فلـذاتها مـستنفرة

فهـي التـي كانـت علـيهم سـاهرة

والوالد الشّخص العظيم ستأسره

سيـصافح الابـن المطيـع ويـذكره

في القـدس جامعـةٌ تـسرّ وزاخـرة

سرّتْ أهـاليكم برحـبٍ العـامرة

بنت أو ابـن سـوف تـرضي خـاطره

فـرح وقـد بانـت هنـاك سرائـره

قبّــل يــديهم والتمــسْها المغفــرة

لا نــاسَ مثــل الوالــدَين تقــدّره

وتعــال نبنــي مــوطني أو ننــصره

نمـضي نحيّـي مـا حيـنَ معـسكره

لا شيء مثـل القـدس أنـت تحـرّه

وتــشدّ أوصــال الــبلاد وتعمــره